

التاسع

الربيع الجميلة والعترة

تجليد مكتب
صالح الدقر

297.8: K 194A

٤

القاسمي

تاريخ اصدار والمقترا

297.8
K 194A

~~_____~~

~~4 FEB 1973~~

~~JUN 57~~

~~_____~~

~~90-5-68~~

~~OCT~~

~~_____~~

~~1 FEB 1971~~

~~MAY 57~~

~~29 APR 65~~

~~JUN 1973~~

~~NOV 57~~

~~13 NOV 65~~

~~JUN 71~~

~~_____~~

~~27 Dec 65~~

~~12 JAN 1972~~

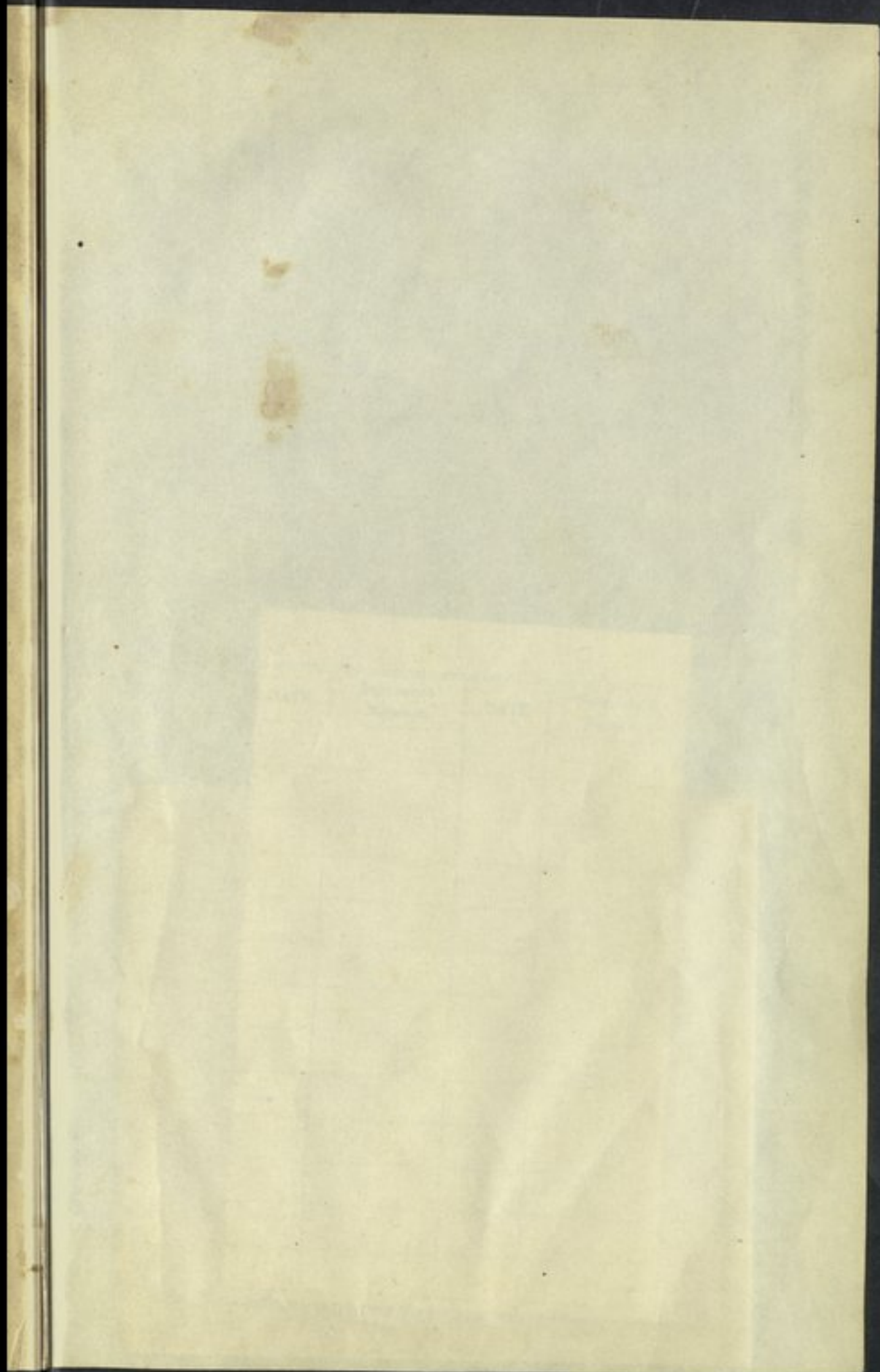
~~_____~~

~~L. LIB~~

~~MAR 27 '81~~

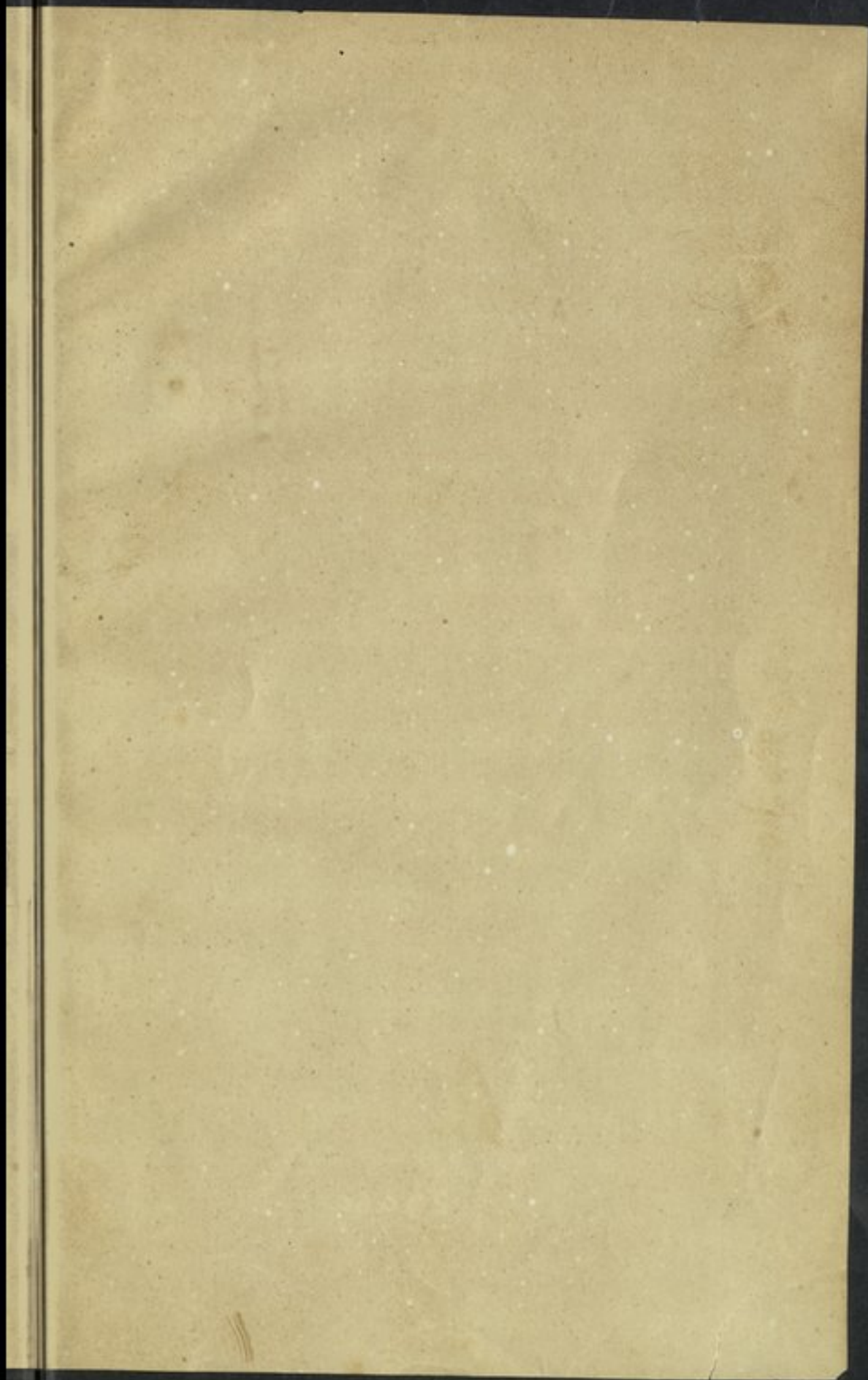
~~27 AUG 1975~~

~~1 OCT 1979~~



277/3
6

۲۷



297.8

K132A

C.1



كتاب

تاريخ الجهمية والمعتزلة

تأليف

الاستاذ العالم العامل البعثة

عالم النام

﴿ الشيخ جمال الدين القاسمي دمشقي ﴾

نشر في المجلد السادس عشر من مجلة المنار

الطبعة الاولى

حقوق الطبع محفوظة لجهة المنار

29060

طبع بمطبعة المنار بمصر سنة ١٣٣١ هـ و سنة ١٢٩٢ هـ ش

Case July 1926

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا بحث جمع من تاريخ الجهمية والمعتزلة ما يحق ان يأخذ نفسه بتحقيقه
من أنعم عليه بشرف المنزلة، وفضل بالادب والعلم، والاخذ من القنون بسهم
دعاني الى العناية به ما رأيت - لما أفضت بنا النوبة في قراءة صحيح
البخاري الى « كتاب التوحيد والرد على الجهمية » - أن كلام الشراح
عليه موجز، وان ليس في الايدي كتاب جمع تاريخهم وأحرز
جمعت ما تيسر من شؤونهم، ثم أشفعت بطرف من أخبار المعتزلة
لتوافق الفرقين في معظم المسائل المعروفة عنهم، وفي تلقيب كل غالباً
بلقب الاخرى

كثر ما يمر بقارى التفاسير وشروح السنة ومؤلفات أصول الدين
والفقه ومطولات التاريخ وكتب المقالات ذكر (الجهمية والمعتزلة)
ذلك لانهما كانتا أول من ظهر من الفرق الاسلامية في صدر حضارة
الاسلام بقواعد الاصول، والعمل على الجمع بين المنقول والمعقول، وفتح
لاولي العلم باب النظر والتأويلات، وانتصب للمجادلات والمناظرات،
وزحزح الواقفين عند ظواهر الرواية، الى منازل تأويل الدراية، وأشاع
في الخافقين الآراء الغريبة في أصول الدين، وفي تأويل آيات الصفات في
الكتاب المبين، بله ما اتفق لبعض الجهمية من اخافة امراء زمانهم بالخروج
على عمال بني امية الظالمين، وانكارهم لامعالم الجائزة، ونصبهم الحروب معهم

روح المعاني

الاعوام المتطاولة، رغبة في تحكيم الكتاب والسنة والتقرب من الشورى كما سنقصه، ولله أمر التاريخ فانه لا يفادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها !
قد يظن انا زريد الكلام على الجهمية والمعتزلة من جهة عقائدهم ومحامتهم فيما لها وعليها ، - كلاً! فقد حكاهما أرباب المقالات والمصنفون في الملل والنحل ، ما بين عادٍ لها فحسب ، وما بين عادٍ وراذٍ ، وهكذا كبار المتكلمين، وجهابذة السافيين، في مؤلفات لا يبلغها الاحصاء ، لاسباب المطولات منها^(١)

لا يزال الحوار بين هاتين الفرقتين ومن خالفهما غضا طربيا كلما سنحت مسائلهم، وما أكثر سئوحيها للمفسر والمحدث والمتكلم والاصولي - ذلك بان مسائلهم متشعبة من وجوه ما يراد بالآيات والايخبار المأثورة في أبواب مسائلها ، وهي مرجع المستدلين كل حين نعم أشرنا الى جمل من عقائدهم ترميا للمقصد من التعريف بأحوالهم، الا ان المقصد هو سرد ما أورده المؤرخون من الحوادث التاريخية والوقائع التي جرت من جرأهم

(١) منها كتاب « تاليس الجهمية » في تأسيس بدعهم الكلامية « ويسمى « تخابص التاليس » من كتاب التأسيس « للامام ابن تيمية . ومنها كتاب « الصواعق المنزلة » على الجهمية والمعطلة « للامام ابن القيم . وكتاب « البيان » عن اصول الايمان، والكشف عن نويبات أهل الطغيان « تأليف أبي جعفر السناني البغدادي المالكي صاحب الفاضلي أبي بكر الباقلائي، رأيت في مكتبة المدرسة العنانية بحلب أيام رحلتي اليها عام (١٣٣٠) وهذا الكتاب مخطوط عام (٦٨٣) ومعه كتاب « حز الغلام في احكام الخاصم » - عند جريان النظر ، في احكام القدر ، وكتاب « نحر بر التنزيه ، ونحرير التشبيه « للامام أحمد بن محمد الاسكندراني المالكي وكها في الرد على المعتزلة لكن بقواعد الخلف

وما عدا ذلك فائما ذكر تكميلا إيقاظا واعتبارا ، ولا غرو فهذا
البحث من المباحث الإضافية الذبول ، الواسعة الانواع
وهذا تفصيل ما تضمنته المقالة في دائرة بحثين :

﴿ البحث الاول في الجهمية وفيه مطالب ﴾

- ١ من هي الجهمية ؟
- ٢ ذكر الجهم زعيم الجهمية
- ٣ خروج الجهم مع الحارث بن سريح على بني امية ، ودعوتها الى
الكتاب والسنة والشورى
- ٤ مقتل الجهم بن صفوان والحارث بن سريح
- ٥ من وهم في عام قتل جهم وسببه وتصحيح ذلك
- ٦ فلسفة جهم (أو مذهبه) في الاصول ، وتأثيره في العقول
- ٧ مناظرة الجهم مع بعض السمنية واخامه اياه ، وما عاق على هذه المناظرة
- ٨ تلقيب الجهمية بالجبرية
- ٩ التنبيه لما وقع من خلل النقل عن الجهمية وغيرهم
- ١٠ تمثل الشعراء بمذهب الجهمية
- ١١ بيان ان مذهب الجهم متلقى عن الجعد بن درهم ، وشيء من أنباء
الجعد وقتله
- ١٢ نبذة من أخبار خالد بن عبد الله القسري قاتل الجعد استاذ الجهم
- ١٣ حمل الاثرية على الجهمية والاعراض بهم
- ١٤ رأي الاثرية في الجهمية
- ١٥ رأي الجهمية في الاثرية

- ١٦ تفریط الجهمية في السمع ، وسواهم في العقل
 ١٧ بيان ان انقسام الناس الى التجهم ، يشبه انقسامهم الى التشيع
 وذلك ثلاث درجات

﴿ البحث الثاني في المعتزلة وفيه مطالب ﴾

- ١ التعريف بالمعتزلة
 ٢ سبب تلقيبهم المعتزلة
 ٣ تلقيب المعتزلة بالجهمية
 ٤ انتشار مقالة الجهمية بواسطة كبار المعتزلة
 ٥ ظهور دولة الجهمية (المعتزلة) في عهد المأمون ودعواه الى مذهبهم
 وما جرى على أئمة الرواية في مسألة خلق القرآن
 ٦ أول من صنف من المعتزلة في محاجة الاثرية
 ٧ تلقيب المعتزلة بالقدرية وسبب التسمية بذلك
 ٨ أول من تكلم في القدر
 ٩ رجال الجهمية والمعتزلة (القدرية) ممن روى لهما الشيخان البخاري
 ومسلم في صحيحهما
 ١٠ بيان ان الجهمية والمعتزلة لهم مالمجتهدين
 ١١ شبهة الاثرية في اضهاد الجهمية ، والجهمية في اضهاد الاثرية ،
 لما دالت لكل الدولة ، وفيه اعتذار بقلم الجاحظ
 ١٢ مانتج من تعصب الجهمية والاثرية وبيان آفة الغلو في التعصب
 ١٣ حذر الأئمة المحققين رمي فرق المسلمين بالكفر والفسق
 ١٤ بيان انه لا تضليل ، لمن أصره اجتهاده الى التأويل

١٥ ماوصى به الأئمة من اطراح أقوال العلماء بعضهم في بعض ، ومن التماس الحكمة أينما وجدت

هذا ماقدر جمعه على ضيق الوقت في بضعة شهور ، وراجعت لاجله عدة أسفار ، واقتبست أطف مآثر عن الكبار ، ولم تكن موالاة البحث والتنقيب ، باشق من العناية بالتنقيح والترتيب ، بيد ان التذرع للحقائق يستسهل دونه كل صعب ، ولا لذة تضاهي لذة العلم والحكمة واستنارة القلب ، والفضل لله سبحانه فيما هدى وألم ، فلا نحصي ثناء عليه نسأله ان يعلمنا ما لم نكن نعلم

﴿ البحث الاول في الجهمية وفيه مطالب ﴾

(١) من هي الجهمية ؟

الجهمية فرقة من فرق المسلمين ، انبثقت مذهب الجهم بن صفوان الآتي ذكره في مسأله المدونة في كتب المقالات والكلام . ثم توسعت بعد ذلك شأن المذاهب كلها التي استفحل أمرها ، وكثرت رجالها ، وتفرعت مسالكها ، وتنوعت مصنفاتها ، ولم تك قبل على شي عمنها . وقد يظن انها أمست أثرأ بعد عين ، مع ان المعتزلة فرع منها ، وهي في الكثرة تعد بالملايين على ما ستعرف ، على ان المتكلمين المتأخرين المنسويين للاشعري يرجع كثير من مسألتهم الى مذهب الجهمية ، كما يدريه المتبحر في فن الكلام ، والموازن بين أقوال هؤلاء وأقوال السلف ، ولذا قلنا في المقدمة قبل : ان الخلاف بين الجهمية وغيرهم لا يزال غضا طريبا كلما سنحت مسألتهم . ولعل لقب الجهمية غلب على المعتزلة من عهد

المأمون كما سنوضحه ، والله أعلم

(٢) ذكر الجهم زعيم الجهمية وطرف من أنبائه

الجهم هذا : هو ابن صفوان ، من أهل خراسان ، ينسب الى سمرقند وترمذ ، ومحتده الكوفة . ويكنى أبا محرز . وكان مولى لبني راسب من الأزد . أخذ الكلام عن الجعد بن درهم ، وكان فصيحاً . اتخذ الحارث ابن سريج التميمي - أيام قيامه بخراسان - كاتباً له كما سنفصله ، وكان يقص في بيت الحارث في عسكره وكان يخطب بدعوته وسيرته ، فيجذب الناس اليه ، وكان يحمل السلاح ويقاوم معه ، وكان صاحب مجادلات ومخاصمات في مسائل الكلام التي يدعو اليها . وكان أكثر كلامه في الآلهيات

يقول بعض من أرخه : لم يكن لجهم نفاذ في العلم ، يعني بالعلم علم الحديث والآثر فان الجمهور كان منكبا على تحمل الحديث وآثار الصحابة ومروياتهم ، الا فئة المتكلمين ، وفي مقدماتهم الجهم واخوانه ، فلم يكن لهم عناية برواية الحديث ولا تحمله . وكانوا يرون العلم مأمم فيه من علم الكلام ، ولذا كانوا يلقبون حملة الآثر بالحشوية ، - كما سيأتي

أول ظهور مذهب جهم كان بترمذ ، فانه أظهره فيه للملا وأشاعه وحاور فيه . ثم أقام ببلخ ، فكان يصلي مع مقاتل بن سليمان في مسجده . ثم نفي الى ترمذ . ولما انصل بالحارث بن سريج لم يزل معه الى ان قتل ، - كما سنفصله

هذا ما قاله الأئمة من مجمل حال الجهم بن صفوان كالامام أحمد في كتاب الرد على الجهمية ، والبخاري في كتاب خلق الافعال ، والطبري في تاريخه ، والامام ابن حزم في الفصل ، وابن عساكر وابن الاثير في تاريخيهما ، وابن حجر في الفتح (قلت) ومقاتل بن سليمان الذي

كان يصلي في مسجده الجهم ، هو مقاتل البلخي المفسر المشهور الذي قال فيه الشافعي : الناس عيال في التفسير على مقاتل . وحكى العباس ابن مصعب - في تاريخ مرو - ان مقاتلا كان يقص في الجامع بمرو ، فقدم جهم مجلس الي مقاتل ، فوقعت العصيدة بينهما ، فوضع كل منهما على الآخر كتابا ينقض عليه (١)

وعن أبي حنيفة رحمه الله قال : افراط جهم في نفي التشبيه ، حتى قال : انه تعالى ليس بشيء . وافراط مقاتل في معنى الاثبات حتى جعله مثل خلقه : نقله الحافظ الذهبي في (ميزان الاعتدال) وفي حكاية العباس ابن مصعب ما يدل على ان الجهم كان من المؤلّفين في مذهبه

(٣) خروج الجهم مع الحارث بن سريج على أمراء بني أمية ، ودعوتهما (الى الكتاب والسنة والشورى)

يمر بقارىء حوادث المائة الثانية للهجرة النبوية أخبار عن الحارث ابن سريج عجيبة تدل على حرصه على نشر العدل ، وتحرّقه من الظلم وأهله ، ورغبته في العمل باحكام الكتاب والسنة ، وفي القضاء على سلطة الاستبداد وجعل الامر شورى ، وان نصبه الحرب مع بني أمية ، واتخاذ الجهم بن صفوان وزيراً في بث الدعوة كتابية وخطابة ، انما كان لهذه المقاصد الحسنة وملخص ما ذكره الطبري وابن الاثير وابن خلدون ان الحارث هذا كان عظيم الازد بخراسان (٢) ، وانه خلع سنة (١١٦) ولبس السواد ،

(١) لو أبت الايام لنا كتابي مقاتل والجهم ، لوقفنا على حقائق مذهب الجهم بما تفوق المعنعات عنه بمراتب . فوالأسفاه على ما طوته الاعصار ، من مثل هذه الآثار
(٢) أيام كانت فيالق العرب متغلّقة في احشاء بلاد فارس والديلم والخزر

ودعا الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والبيعة للرضا . وأنكر سيرة هشام بن عبد الملك وأعماله ، ونزل الفارياب وأتى بلخ واستولى عليها وأقام بها عاملا ، وسار الى الجوزجان وغلب عليها وعلى الطالقان ومرو الروذ . ثم أقبل الى مرو (بيضة خراسان) في ستين ألفا ومعه فرسان الازد وتميم ودهاقين بلاد العجم . واقتتلوا مع أمير مرو قتالا شديداً ، حتى انهزم أصحاب الحارث ، ولم يبق معه الا زهاء ثلاثة آلاف ، ثم عاد الحارث الى بلاد الترك ، وأقام بها اثنتي عشرة سنة ، ثم روى بالعود الى خراسان ، فأخذ الامان وعاد سنة (١٢٦) ولما قدم مرو لقيه الناس بكشميين قال لهم : ماقرت عيني منذ خرجت الى يومي هذا ، وما قررت عيني الا ان يطاع الله

قال ابن جرير الطبري : كان الحارث بن سريج يجلس على برذعة وتثني له وسادة غليظة . ولما لقيه نصر بن سيار وأنزله أجرى عليه كل يوم خمسين درهما ، فكان يقتصر على لون واحد ، وطلق أهله وأولاده ، وعرض عليه نصر ان يوليه ويعطيه مائة الف دينار ، فلم يقبل ، وأرسل الى نصر « اني لست من هذه الدنيا ولا من هذه اللذات ولا من تزوج عقائل العرب في شيء ، وانما أسأل كتاب الله عز وجل والعمل بالسنة واستعمال أهل الخير والفضل ، فان فعلت ساعدتك على عدوك »

وقال الحارث لنصر « خرجت من هذه المدينة - مرو - منذ ثلاث عشرة سنة انكارا للجور وانت تريدني عليه »

هذا كلام الحارث في مشربه نفسه وفي رأيه في سياسة الشعب ، وصدعه في

وجوه اصلاحه، وبه يعلم منزلة عقله ونبله وفضله، وغيرته وتقواه، رحمه الله

(٤) مقتل الجهم والحارث وما أفضى من الوقائع إليه

في سنة ١٢٨ ولي ابن هبيرة العراق، فكتب إلى نصر بن سيار
بعمده على خراسان، وطلب البيعة لمروان بن محمد بن مروان، فأبى الحارث
وقال: إنما أمتني يزيد بن الوليد ولم يؤمني مروان، ولا يجيز مروان
أمان يزيد فلا آمنه. فخالف نصراً، فأرسل إليه نصر يدعو إلى الجماعة
وينهاه عن الفرقة واطماع العدو، فلم يجبه إلى ما أراد، وخرج فمسكر
وأرسل إلى نصر: اجعل الأمر شورى،^(١) فأبى نصر، وأمر جهم بن
صفوان أن يقرأ سيرته وما يدعو إليه على الناس، فلما سمعوا ذلك كثروا
وكثر جمعه، وأرسل الحارث إلى نصر ليعزل سالم بن أحوز عن شرطته
ويغير عماله ويقر الأمر بينهما أن يختاروا رجالاً يسمون لهم قوماً يعملون
بكتاب الله، فاختار نصر مقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيان. واختار
الحارث المغيرة بن شعبة الجهضمي ومعاذ بن جبله. وأمر نصر كاتبه أن
يكتب ما يرضي هؤلاء الأربعة من السنن، وما يختارونه من العمال،
فيوليهم ثغر سمرقند وطخارستان

وعرض نصر على الحارث أن يوليه ما وراء النهر ويعطيه ثلاثمائة ألف
فلم يقبل. ثم تراضيا بأن حكما جهم بن صفوان ومقاتل بن حيان، حكما
« بأن يعزل نصر وأن يكون الأمر شورى » فلم يقبل نصر، فخالفه
الحارث وقدم على نصر جمع من أهل خراسان — حين سمعوا بالفتنة —

(١) هذا ما عناه قبل من حرصه على الشورى وبتر الاستبداد

وأمر الحارث أن تقرأ سيرته بالاسواق والمساجد وعلى باب نصر، فقرئت فأتاه خلق كثير، وقرأها رجل على باب نصر، فضربه غلمان نصر فنادبهم الحارث ونجهزوا للحرب

ودل رجل من أهل مرو الحارث على نقب في سورها، فمضى الحارث اليه ونقبه ودخل البلد وقتل من وقف في وجه جماعته، وانهبوا منزل سلم بن أحوز، وركب سلم حين أصبح وأمر منادياً فنادى : من جاء برأس فله ثلثمائة، فلم تطلع الشمس حتى انهزم الحارث وقتلهم الليل كله، وأتى سلم عسكر الحارث فقتل كاتبه واسمه يزيد بن داود

وأسر يومئذ جهم بن صفوان فقال لسلم : ان لي وليا من ابنك حارث . فقال : ما كان ينبغي له أن يفعل، ولو فعل ما أمنتك، ولو ملأت هذه الملاعة كواكب وأبراك الي عيسى بن مريم مانجوت، والله لو كنت في بطني لشققت بطني حتى أقتلك، والله لا يقوم علينا من اليمانية^(١) اكثر مما قتت، فقتله

ثم غلب الكرماني على مرو، وخطب الناس فأمنهم، وهدم الدور ونهب الاموال فأذكر الحارث عليه ذلك، ثم أتى الحارث مسجد عياض وأرسل الى الكرماني يدعوه الى أن يكون الامر شورى، فأبى الكرماني فانتقل الحارث عنه، ثم اقتتل معه حتى قتل الحارث وأخوه وعدة، وذلك سنة ١٢٨ هذا مجمل مارواه الثقات في سبب مقتل جهم ومخدومه الحارث، وبه يعلم ما كانا عليه من الحرص على اقامة أحكام الكتاب والسنة، وجعل الامر شورى، وابعاء الانفاس في امره الظالمين، ورفض اعطيائهم والعمل لهم

(١) فيلق من فيالق العرب كان مرهوب المقام مخشي الخروج عليهم

ومن تأمل ما قص يعلم ان قتل جهم انما كان لامر سياسي لا ديني ،
وقد صرح بذلك سلم (رئيس شرطة نصر) قاتله بقوله : والله لا يقوم
علينا من اليمانية اكثر مما قتت ، فنفظن ولا تكن أسير التقليد

(٥) من وهم في عام قتل جهم وسببه وتصحيح ذلك

قدمنا ان مقتل جهم كان عام ١٢٨ كما حكاه الطبري وغيره . وقال
الحافظ ابن حجر في فتح الباري : أسند أبو القاسم اللالكائي في كتاب السنة
له ان قتل جهم كان في سنة ١٣٢ (قال) والمعتمد ما ذكره الطبري انه كان
في سنة (١٢٨) وذكر ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن رحمة صاحب
أبي اسحق الفزاري ان قصة جهم كانت سنة (١٣٠) (قال) وهذا يمكن
حمله على جبر الكسر ، أو على ان قتل جهم تراخي عن قتل الحارث بن
سريح (ثم قال) وأما القول بأن قتل جهم كان في خلافة هشام بن عبد الملك
فوهم ، لان خروج الحارث بن سريح الذي كان جهم كاتبه كان بعد ذلك .
ولعل مستند القول به ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق صالح بن أحمد
ابن حنبل ، قال : قرأت في دواوين هشام بن عبد الملك الى نصر بن سيار
عامل خراسان : أما بعد فقد نجم قبلك رجل يقال له جهم من الدهرية فان
ظفرت به فاقتله (قال ابن حجر) ولا يلزم من ذلك أن يكون قتله وقع في
زمن هشام ، وان كان ظهور مقاله وقع قبل ذلك حتى كاتب فيه هشام والله أعلم
ولا يخفى ان نيز هشام - لجهم بأنه من الدهرية - في كتابه هذا
- ان صح - انما أراد به زيادة الاغراء بقتله ليكون حجة له ، وتمويهاً على
العامة ، ومن لا يدري حقيقة الامر في هدر دمه . وقد علمت ان الباعث

على قتله أمر سياسي محض ، لان جهنم كان خطيب الحارث وقارى كتيبه
 في الجامع ، والداعي الى رايه والى الخروج معه على بني أمية وعمالمهم ،
 لسوء سيرتهم وقبح أعمالهم وشدة بغيتهم كما أثرناه قبل
 ولا يخفى على من له أدنى مسكة من عقل ان الدهرية لا يقرون
 بالوهية ولا نبوة . وجهنم كان داعية للكتاب والسنة ، ناقما على من انحرف
 عنها ، مجتهدا في أبواب من مسائل الصفات ، فكيف يستحل نزه بالدهرية
 وهي اكفر الكفر ! ومن هنا يعلم أن لاعبرة بنز الامراء والملوك من
 ينقم عليهم سيرتهم بالالقباب السوءى ، والتاريخ شاهد عدل ، وليس القصد
 التحزب لجهنم والدفاع عن مذهبه وآرائه ، كلا ! فأنا أبعد الناس عن
 التحزب والتعصب والتقليد ، ولكن الانصاف يدعو أن يذكر المرء بما له
 وما عليه اذا أريد درس حياته ومعرفة سيرته ، وذلك ما توخينا هنا

(٦) فلسفة جهنم (أو مذهبه) في الاصول ، وتأثيره في العقول

قد حكى مذهب جهنم وفلسفته أرباب المقالات والمصنفون في الملل
 والنحل ، وكذا في كتب الكلام المطولة ، وفيما صنف لارد عليه وعلى
 أتباعه الجهمية

مرجع فلسفته ، وخلاصة مذهبه - : هو تأويل آيات الصفات كلها
 والجنوح الى التنزيه البحت ، وبه نفي ان يكون لله تعالى صفات غير ذاته ،
 وان يكون مرثيا في الآخرة ، وان يتكلم حقيقة ، وأثبت ان القرآن مخلوق
 هذه أشهر مسائل جهنم التي يقال لها (مقالة الجهمية) وله من الآراء
 سوى ذلك ، كالقول بنفي جهة العلو ، والقول بالقرب الذاتي ، وانه تعالى

تفسير

مع كل أحد ذاتا كما حكاها الرازي الحنفي في كتابه (حجج القرآن) عن
الجهمية ، وأورد أدلتهم من الكتاب والسنة فانظره
كان من أعظم شبههم في باب الصفات اعتقاد أن ظاهرها يفيد التشبيه
بالمخلوق أي ان ما يفهم من نصوصها يماثل ما يفهم من صفات المخلوق ،
فظاهر معناها التمثيل ، وهو مستحيل ، فيجب التأويل
وقد رد عليهم بان الظاهر المفهوم لو كان المراد به خصائص صفات
المخلوقين حتى يشبه المولى بخلقه ، لما خالف أحد في رده وتقيه ، لان هذا
ليس مرادا بالاتفاق ، — للقطع بأنه تعالى ليس كمثل شي ، لاني ذاته ولا
في صفاته ولا في أفعاله ، الا ان هذا ليس هو ظاهرها ، وإنما ظاهرها
ما يليق بالخالق تعالى . وليس في العقل ولا في السمع ما ينفي هذا .
والصفة تتبع موصوفها ، فكما ان ذاته المقدسة ليست كذوات المخلوقين
فكذلك صفاته

بهذا يقرب الامر من رفع الخلاف^(١) اذ الظاهر عند خصوم الجهمية
غيره عندهم ، فانفكت الجهة . وللإمام ابن دقيق العيد تقريب آخر قرره
في ذلك حيث قال : المنزهون لله عن سمات الحدوث ومشابهة المخلوقات
بين رجلين : اما ساكت عن التأويل واما متأول (ثم قال) والأمر في
التأويل وعدمه في هذا قريب عند من يسلم التنزيه . فانه حكم شرعي أعني
الجواز وعدمه . فيؤخذ كما يؤخذ سائر الاحكام . الا ان يدعي مدع ان
هذا الحكم ثبت بالتواتر عن صاحب الشرع - أعني المنع من التأويل - ثبوتاً

(١) قد بسط الكلام في مسألة الظاهر الامام ابن نيمية في كتاب التبعينية صفحة
(١٢٢) من المجلد الخامس من فتاويه المطبوعة ، وكذا في الرسالة المدنية المطبوعة
في الهند في امرتسر

قطعا . فخصمه يقابله حينئذ بالمنع الصريح . وقد يتعدى بعض خصومه الى التكذيب القبيح بالمنع الصريح اه

قال العلامة المقبلي في العلم الشاخر - بعد نقله ذلك - ونعم ما قال - « وتقریب مسافة الخلف بين الفريقين كان يمكن بمثل هذين التقريبين وغيرهما . لولا تعصب الحزبين كما سنبينه في آفة التعصب »

وبالجملة فتأثير مذهب الجهمية في الافكار، انما كان بتنبئها الى التأويل، وسلك منهج المجاز في تلك المسائل، وكان هذا الباب موصدا قبلها، لا يطرقة أحد ولا يخطر له

نم درج المعتزلة على أثر الجهمية، قال الغزالي في الاحياء - مشيراً اليهم - فمن مسرف " في رفع الظواهر، انتهى الى تغيير جميع الظواهر والبراهين أو أكثرها، حتى حملوا قوله تعالى وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم « وقوله تعالى « وقالوا جلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء » وكذلك في الميزان والصراط والحساب ومناظرات أهل النار وأهل الجنة في قولهم : « أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله » - زعموا أن ذلك كله بلسان الحال (نم قال الغزالي) وأولوا من صفاته تعالى الرؤبة وأولوا كونه سمياً بصيراً، وأولوا المعراج وزعموا انه لم يكن بالجسد، وأولوا عذاب القبر، " وجملة من أحكام الآخرة، ولكن أفروا بحشر الاجساد، والجنة واشتمالها على الملاذ المحسوسة، وبالنار وباشتمالها على جسم محسوس محرق يحرق الجلود « اه

(١) سيأتي بيان انقسام الناس في التجهيم بأبسط مما هنا (٢) سيأتي للمقبلي رد كون المعتزلة تنكر عذاب القبر في البحث ٩ من التنبئة لما وقع من خلال النقل عن الجهمية الخ

﴿ (٧) مناظرة الجهنم مع بعض السمنية وإخامه اياه ، وما علق على هذه المناظر ﴾
 روي أن الجهنم لقي بعض السمنية^(١) الخصمين ، فقال له السمني :
 أريد مناظرتك ، فان ظهرت حجتي عليك دخلت في ديني ، وان ظهرت
 حججتك علي دخلت في دينك ، فكان مما كلم به الجهنم أن قال له : أأنت
 تزعم أنك إله ؟ قال الجهنم : نعم ، فقال له : فهل رأيت إلهك ؟ قال : لا ، قال
 فهل سمعت كلامه ، قال لا ، قال فشممت له رائحة ؟ قال لا ، قال فوجدت
 له حسا ؟ قال : لا ، قال : فوجدت له مجسا ؟ قال لا ، قال فما يدريك انه
 إله ؟ فأخذ الجهنم في حجج السمني بمثل حجته ، فقال له : أأنت تزعم أن فيك
 روحا ؟ فقال : نعم ، قال : فهل رأيت روحك ؟ قال لا ، قال فسمعت كلامه ؟
 قال لا ، قال فوجدت له حسا ؟ قال لا ، قال : فكذلك الله لا يرى له
 وجه ولا يسمع له صوت ، ولا يشم له رائحة ، وهو غائب عن الابصار
 ولا يكون في مكان دون مكان

هذا ما حكاه الامام أحمد في الرد على الجهمية أنزناه باختصار وقوفاً
 على موضع الشاهد من فطنة جهنم وبلاغته في إخامه خصمه

قال الامام ابن تيمية في التسمينية - بمد حكاية ذلك : لما ناظر الجهنم
 من ناظره من المشركين السمنية من الهند الذين جحدوا الإله ، لكون
 السمني لم يدركه بشيء من حواسه ، لا يبصره ولا يسمعه ولا يشمه
 ولا بدوقه ولا يحسه ، كان مضمون هذا الكلام ان كل ما لا يحسه
 الانسان بحواسه الخمس فانه ينكره ولا يقرب به ، فاجابهم الجهنم انه قد يكون

(١) بضم السين المهملة وفتح الميم قوم في الهند دهبون

في الموجود مالا يمكن احساسه بشيء من هذه الحواس وهي الروح التي في العبد ، وزعم انها لا تخص بشيء من الامكنة . وهذا الذي قاله هو قول الصابئة الفلاسفة المشائين

(ثم قال ابن تيمية) : والحجة التي ذكرها مشركو الهند باطلة ، والجواب الذي أجاب به الجهم باطل ، وذلك ان قول القائل مالا يحس به العبد لا يقرّ به أو ينكره ، اما ان يريد به ان كل أحد من العباد لا يقر الا بما أحسه هو بشيء من حواسه الخمس ، أو يريد به انه لا يقر العبد الا بما أحس به العباد في الجملة ، أو بما يمكن الاحساس به في الجملة . فان كان أراد الاول ، - وهو الذي حكاه عنهم طائفة من أهل المقالات ، حيث ذكروا عن السمنية انهم ينكرون من العلم ماسوى الحسيات ، فينكرون المتواترات والمجربات والضروريات النقلية وغير ذلك ، الا ان هذه الحكاية لا تصح على اطلاقها عن جمع من العقلاء في مدينة أو قرية . وما ذكر من مناظرة الجهم لم يدل على اقرارهم بغير ذلك ، وذلك ان حياة بني آدم وعيشهم في الدنيا لا يتم الا بمعاونة بعضهم لبعض في الاقوال أخبارها وغير أخبارها وفي الاعمال أيضاً ، فالرجل منهم لا بد ان يقر انه مولود ، وان له أباً وطى أمه ، وأماً ولدته ، وهو لم يحس بشيء من ذلك بحواسه الخمس ، بل أخبر بذلك ووجد في قلبه ميلا الى ما أخبر به ، وكذلك علمه بسائر أقاربه من الاعمام والاخوال والاجداد وغير ذلك ، وليس في بني آدم تنكر الاقرار بهذا . وكذلك لا ينكر أحد من بني آدم انه ولد صغيراً ، وانه ربي بالتغذية والحضانة ونحو ذلك حتى كبر ، وهو اذا

كبر لم يذكر احساسه بذلك قبل تمييزه ، بل لا ينكر طائفة من بني آدم امورهم الباطنة مثل جوع أحدهم وشبعه ، ولذته وألمه ، ورضاه وغضبه ، وحبه وبعضه ، وغير ذلك مما لم يشعر به بحواسه الخمس الظاهرة ، بل يعلمون ان غيرهم من بني آدم يصيبهم ذلك ، وذلك مما لم يشعروا به بالحواس الخمس الظاهرة ، وكذلك ليس في بني آدم من لا يقر بما كان في غير مدينتهم من المدائن والسير والمتاجر وغير ذلك مما هم متفقون على الاقرار به ، وهم مضطرون الى ذلك . وكذلك لا ينكرون ان الدور التي سكنوها قد بناها البناءون ، والطبيخ الذي يطبخونه طبخه الطباخون ، والثياب المنسوجة التي يلبسونها نسجها النساجون ، وان كان ما يقررون به من ذلك لم يحسه أحد بشيء من حواسه الخمس . وهذا باب واسع ، فمن قال ان امة من الامم تنكر هذه الامور ، فقد قال الباطل

وقول من يقول من المتكلمين : ان السوفسطائية قوم ينكرون حقائق الامور ، وانهم منتسبون الى رئيس لهم يقال له سوفسطاء ، وان منهم من ينكر العلم بشيء من الحقائق ، ومنهم من ينكر الحقائق الموجودة أيضاً مع العلوم ، ومنهم اللاادرية الذين يشكون فلا يجزمون بنفي ولا اثبات ، ومنهم من لا يقر الا بما أحسه . قد رد هذا النقل والحكاية من عرف حقيقة الامر ، وقال : ان لفظ السوفسطائية في الاصل كلمة يونانية معربة ، أصلها سوفسطا : أي الحكمة الموهمة ، فان لفظ سو معناه في لغة اليونان الحكمة ولهذا يقولون فيلسوفاً أي محب الحكمة ، ولفظ فسطا معناه الموهمة ، ومعلم المستأخرين المبتدعين ارسطو لما قسم حكمتهم التي هي منتهى علمهم الى برهانية وخطائية وجدلية وشعرية وموهمة وهي المغاليط سماها

سوفسطا . ثم ظن بعض المتكلمين ان ذلك اسم رجل وانما أصلها ما ذكر . وان كان لفظ السفسطة قد صار في عرف المتكلمين عبارة عن حجد الحقائق ، فلا ريب ان هذا يكون في كثير من الامور ، فمن الامم من ينكر كثيراً من الحقائق بعد معرفتها كما قال تعالى : « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً » وقد يشبه كثير من الحقائق على كثير من الناس كما قد يقع الغلط للحس أو العقل في أمور كثيرة ، فهذا كله موجود كوجود الكذب عمداً أو خطأً اما اتفاق امة على انكار جميع العلوم والحقائق أو على انكار كل منهم لما لم يحسه ، فهو كاتفاق امة على الكذب في كل خبر ، أو التكذيب لكل خبر . ومعلوم ان هذا لم يوجد في العلماء ، والعلم بعدم وجود امة على هذا الوصف كالعلم بعدم وجود امة بلا ولادة ولا اغتذاء ، وامة لا يتكلمون ولا يتحركون ، ونحو ذلك مما يعلم ان البشر لا يوجدون على هذا الوصف فالقول بوجود امة لا تقر بشيء من المخبرات الا أن تحس المخبر بعينه ينافي ذلك ، واذا كان كذلك فأولئك المتكلمون من المشركين والسمنية الذين ناظروا الجهم قد غالطوا الجهم ولبسوا عليه ، - حيث أوهموه ان مالا يحسه الانسان بنفسه لا يقر به ، فكان حقه أن يستفسرهم عن قولهم : مالا يحسه الانسان لا يقر به : هل المراد به هذا أو هذا ، فان أرادوا ذلك المعنى الاول أمكن بيان فساد قولهم بوجوده كثيرة ، وكان أهل بلدتهم وجميع بني آدم يرد عليهم ذلك . وان أرادوا المعنى الثاني - وهو ان مالا يمكن الاحساس به لا يقر به ، فهذا لا يضر تسليمه لهم ، بل يسلم لهم ويقال لهم فان الله تعالى تمكن رؤيته وسمع كلامه ، بل قد سمع بعض البشر كلامه - وهو موسى عليه السلام وسوف يراه عباده في الآخرة ، وليس

من شرط كون الشيء موجوداً أن يحس به كل أحد في كل وقت ، أو ان يكون احساس كل أحد به في كل وقت ، فان اكثر الموجودات على خلاف ذلك ، بل متى كان الاحساس به ممكناً ولو لبعض الناس في بعض الاوقات ، صح القول بأنه يمكن الاحساس به ، وقد قال تعالى : « وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء » وهذا هو الاصل الذي ضل به جهم وشيعته حيث زعموا ان الله لا يمكن أن يرى ولا يحس به بشيء من الحواس كما أجاب امامهم الاول للسمنية بامكان وجود موجود لا يمكن احساسه^(١) ولهذا كان أهل الاثبات قاطبة متكلموهم وغير متكلميهم على نقض هذا الاصل الذي بناه الجهمية ، وأثبتوا ما جاء به الكتاب والسنة من أن الله يرى ويسمع كلامه وغير ذلك ، وأثبتوا أيضاً بالمقاييس العقلية ان الرؤية يجوز تعلقها بكل موجود فيجوز احساس كل موجود ، فما لا يمكن احساسه يكون معدوماً ، ومنهم من طرد ذلك في اللمس ، ومنهم من طرده في سائر الحواس كما فعله طائفة من متكلمي الصفاتية الاشعرية وغيرهم والمقصود هنا ان أولئك المشركين المناظرين قالوا كلاماً مجملاً ، جملوا الخاص عاماً والمقيد مطلقاً حيث قالوا : أنت لم تحسه ، وما لم تحسه أنت لا يكون موجوداً : والمقدمة الثانية باطلة ، لكن موهوها بالمعنى الصحيح ، وهو ان ما لا يمكن احساسه بحال لا يكون موجوداً : اه كلام شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله

(١) ان جواب جهم المتقدم للسمني ليس صريحاً في هذا المعنى وانما هو إلتزام له بما يلتزمه . فان كان صرح بهذا الاصل في موضع آخر فهو مذهبه الذي يناقش فيه لا الاستنباط البعيد من جوابه للسمني . كتبه محمد رشيد

(٨) تلقيب الجهمية بالجبرية *deliberatione*

اشتهر عن جهم القول بالجبر (بفتح الجيم وسكون الموحدة) وهو اسناد فعل العبد الى الله تعالى، ففي المواقف للعضد وشرحها للسيد: الجبرية - متوسطة تثبت للعبد كسباً كالأشعرية - وخالصة لا تثبته كالجهمية قالوا: لا قدرة للعبد أصلاً لا مؤثرة ولا كاسبة بل هو بمنزلة الجمادات فيما يوجد منها لم يعد العضد في المواقف الجهمية فئة على حدتها كما فعل غيره من أرباب المقالات ، بل جعلها قسماً من الجبرية ، فلذا عسر السقوط عليها من المواقف الا بالسبر ، وقد عرقها

والجبر المذكور هو أحد آراء الجهمية ، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : ليس الذي أنكروه على الجهمية مذهب الجبر خاصة، وإنما الذي أطبق السلف على ذمهم بسببه انكار الصفات حتى قالوا: ان القرآن ليس كلام الله وانه مخلوق اه

وعلى قول العضد الأشعرية جبرية متوسطة ، اذكر ما قاله العلامة القبلي في العلم الشاخي^(١) وعبارته : لما رأى محققو الأشاعرة بطلان مذهب جهم بالضرورة، وعود مذهب الأشعري واتباعه اليه بادنى إمام، واضمحلال الكسب كينها قلبته ، وبطلان سمي أهله ، تسلموا عنه لو اذا ، فمنهم الراجع الى الحق صريحاً ، ومنهم المقارب ولكن مع التستر بالهج بعبارات الاسلاف وتمويه التقارب فيما بينهم وبين الأشعري والكون تحت رايته ، وقد رفضوه ونسبوه الى انكار الضرورة من حيث المعنى : ثم سمي القبلي من هؤلاء المحققين امام الحرمين والفخر الرازي وغيرهما فانظروا

(١) طبع بمصر ويطلب من مكتبة المنار فيها

(٩) التنبيه لما وقع من خلل النقل عن الجهمية وغيرهم

أرى من واجب كل من يؤرخ مذهب قوم، وكل من يناقش فرقة ما في مذهبها، ان ينقل آراءها عن كتب علماء الثقات، ويقوم بالعزو الى ما أخذها ومصادرها، لتكون النفس في طمأنينة مما يريها ان لم يعن بهذا الواجب — هذا كله اذا أمكن الظفر بكتبها نفسها، وآرائها التي دونها رجالها، — والا فعلى النهم بتعرف الحقائق ان يأتوا عن كتبة الأئمة المحققين ما أثروه، ويبنى على ما بنوه، مع التحري والتيقظ، وما على باذل جهده من ملام وبالجمل فلا بد من السند في قبول ما يعزى ويروى الى تلك الفرقة، فإما عن اسفارها أو عن امام ثقة أثر عنها، وأما رمي فرقة برأي ما بدعوى انه قيل عنها ذلك أو يقال، فما لا يقام له وزن في الصحة والاعتقاد، فلا يتعانى في رده أو مناقشته، وهذه القاعدة يجب ان تؤخذ دستورا وأمرآ عاما في كل ما يؤثر وينقل، وأصلها مما نبه عليه أئمة الرواية عليهم الرحمة والرضوان، اذ لم يقبلوا الاثر الا بعد معرفة روايته وضبطه وثقته وعدالته^(١) اذ ليس من السهل تشريع أمر ايجابا أو حظرا، تحليلا أو تحريما، بل أمامه ما امامه من بذل غاية الوسع، ونهاية الجهد، في تعرف مورده ومصدره تحريبا للحق، واحتياطاً للصواب، وهكذا في كل ما يؤثر من الاقوال والآراء، سواء كانت في الاصول أو الفروع أو اللغات أو الاقاصيص، ودليل هذا الاصل آية « ولا تقف، ما ليس لك به علم، ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا » وآية « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين »

(١) مآلوه و الثقة برد الكتب الى أهلها أقوى في هذا الباب. وقال النباه: نقل المخالف

لا يعتد به. كتبه محمد رشيد

إذا عرف هذا تبين ان التساهل في الحكاية والنقل لا يقول به المحققون، ويربأون بأنفسهم عن الخوض فيه، وإنما يستروح به المتعصبون والمندفعون وراء كل ناعق، أو المقلدون بدون تمحيص ونقد من أعجب ما اتفق لي في ذلك ما رأيت في طبقات السبكي من قوله^(١) :
 : وأما جهم فلا ندري ما مذهبه، ونحن على قطع بأنه رجل مبتدع الخ ثم قال^(٢) "واعلم ان جهما غاص في المعاني بزعمه، وأعرض عن الظواهر فسقط على أم رأسه، وقامت عليه حجج الشرع، ومنعته عن سبيل الحق أي منع، الخ : فتأمل قول السبكي : فلا ندري ما مذهبه : ثم تهجم عليه ، مع ان السبكي انتقد على ابن حزم في تحامله على الاشعري قبل أسطر وعبارته : وهذا ابن حزم رجل جريء بلسانه ، متسرع الى النقل بمجرد ظنه، هاجم على أئمة الاسلام بالفاظه وفي كتابه (الملل والنحل) الاذراء باهل السنة، ونسبة الاقوال السخيفة اليهم ، من غير تثبيت عنهم ، والتشنيع عليهم بما لم يقولوه : ثم قال السبكي : ان ابن حزم ما بلغه بالنقل الصحيح معتقدا لاشعري، وإنما بلغه عنه أقوال نقلها الكذابون عليه ، فصدقها بمجرد سماعه اياها ، ثم لم يكتف بالتصديق بمجرد السماع حتى أخذ يشنع اه فنقول له : لقد كدت تقع فيما رميت به الامام ابن حزم . وممن نبه على ما وقع من تساهل بعض المؤلفين الامام نغر الدين الرازي في رسالته التي جمعها في المسائل الواقعة له في رحلته الى ماوراء النهر، فقد قال في المسألة العاشرة مما مثاله :
 كتاب الملل والنحل للشهرستاني كتاب حكى فيه مذاهب أهل العالم بزعمه، إلا انه غير معتمد عليه ، لأنه نقل المذاهب الاسلامية من الكتاب

المسمى بالفرق بين الفرق من تأليف الاستاذ أبي منصور البغدادي (قال الرازي) وهذا الاستاذ كان شديد التعصب على المخالفين ، فلا يكاد ينقل مذهبهم على الوجه ، ثم ان الشهرستاني نقل مذاهب الفرق الاسلامية من ذلك الكتاب ، فهذا السبب وقع الخلل في نقل هذه المذاهب اه كلام الرازي وهكذا انتقد العلامة المقبلي في العلم الشاخر من ينقل مذهب المعتزلة من كتب الاشاعرة بانه حصل الغلط عليهم في بعض كلامهم . وذكر ان هذا كثير الوقوع في حكاية المذاهب (قال) صحة الرواية تنبني على التحري وعدم المجازفة ، ثم أثنى على الرازي في تحريه النقل عن المعتزلة وعبارته: قد أكثر الرازي في تفسيره الحكاية عن القاضي وغيره من المعتزلة (ثم قال) الرازي أكثر الناس عناية في هذا الشأن ، وأدقهم مسلكا وأوسعهم مجالا ، وحاله في كتبه تحرير حجج الخصوم على أبلغ ما يمكنه ، وليس كسائر الاشاعرة لا يعرفون مذهب المعتزلة على حقيقته ، ولا ينصفونهم فيما عرفوا (قال) وكذلك الزمخشري تنصيصاً وتلويحاً ، وإيماءً وتصريحاً ، كما قال بعضهم انه دس الاعتزال تحت كل ذرة من كتابه

وقال أيضاً : علم من المختلفين في العقائد اتباع الهوى وقبول المثالب من دون تثبت : ذكر ذاك في نقده على الذهبي في قوله عن الجاحظ انه باقعة قليل دين (قال) هو أجل من ذلك وان تحامل عليه مخالفوه في العقائد ، فلا يصدقون عليه ، وأصحابه المعتزلة أخبر به ، فهو عند المعتزلة من جلة العلماء ، وعند الجميع مقدم الاذكياء الحكماء اه

وقال أيضاً : وقد صار كل من الفرق يحكي الشر عن مخالفه ويكتم الخير ، بل يروي الكذب والبهت ، كما تذكر الاشاعرة أن المعتزلة تنكر

عذاب القبر، ترى ذلك فاشيا بينهم ، مع ان النقل عنهم باطل ، وهو شبيه
 قذف الغافلات ، فان المعتزلة لا تكاد تظن قائلًا يقول هذا الا شذوذًا ،
 مثل المريسي وضرار وهما بيت الغرائب ، مع ان ضرارًا ليس من المعتزلة
 في روايتهم ، لانهم رووا عنه القول بالرؤية بحاسة سادسة ، ورووا عنه
 القول بخلق الافعال ، وانه رجع عن الاعتزال ، (قال) وعلى الجملة فليس
 شذوذه عن الفريقين بغريب ، وانما المنكر إلزام المعتزلة قوله ، وانما هذه
 المسألة — كسائر المسائل — لا بد فيها من شذوذ كشذوذات العنبري
 والظاهرية ، وهذا شيء كثير يطلعك عليه كتب المقالات اهـ

ويتفرع من هذا البحث مسألة جليسة ، وهي إلزام الناس لوازم
 أقوالهم ، واطافتها اليهم إضافة أقوالهم أنفسهم ، وقد نبه عليها أئمة الاصول
 قال الامام أبو اسحق الشيرازي في اللمع : ما يقتضيه قياس قول المجتهد
 لا يجوز أن يجعل قولاً له (قال) ومن أصحابنا من قال انه يجوز أن
 يجعل ذلك قولاً له ، وهذا غير صحيح ، لان القول مانص عليه وهذا لم
 ينص عليه ، فلا يجوز أن يجعل قولاً له اهـ

ومثله يجري في قولهم : لازم المذهب ليس بمذهب ، وقد رأيت
 لشيخ الاسلام ابن تيمية تفصيلاً في هذه المسألة ، — وهو قوله في بعض
 فتاويه : لازم قول الانسان نوعان (أحدهما) لازم قوله الحق ، فهذا مما
 يجب عليه أن يلتزمه فان لازم الحق حق ، ويجوز أن يضاف اليه اذا علم
 من حاله انه لا يمتنع من التزامه بعد ظهوره ، وكثيرا ما يضيف الناس الى
 مذهب الأئمة من هذا الباب (والثاني) لازم قوله الذي نيس بحق ، فهذا

لا يجب التزامه ، إذ أكثر ما فيه انه تناقض ، وقد ثبت ان التناقض واقع من كل عالم غير النبيين عليهم السلام . ثم ان من عرف من حاله انه يلتزمه بعد ظهوره فقد يضاف اليه ، والا فلا يجوز أن يضاف اليه قول لو ظهر له لم يلتزمه لكونه قد قال ما يلزمه وهو لا يشعر بفساد ذلك القول ولا يلزمه (قال رحمه الله) وهذا التفصيل في اختلاف الناس في لازم المذهب هل هو مذهب أم ليس بمذهب ، هو أجود من اطلاق أحدهما ، فما كان من اللوازم يرضى القائل بعد وضوحه به فهو قوله ، وما لا يرضاه فليس قوله وان كان متناقضاً ، وهو الفرق بين اللازم الذي يجب التزامه مع الملزوم ، واللازم الذي يجب ترك الملزوم للزومه ، وهذا متوجه في اللوازم التي لم يصرح هو بعدم لزومها ، فأما اذا فقي هو اللزوم ، لم يجز أن يضاف اليه اللازم بحال اه كلامه وهو تفصيل راعى فيه ما عليه أتباع الأئمة من اضافة ما يجري على قواعدهم اليهم ، وجعله قولاً لهم ، بحجة ان قواعدهم لا نأباه ، أو انه يعلم من حاله انه لا يتمتع من التزامه ، كما قاله تقي الدين ، ولا يخفى ان الاقعد هو التورع عن الاضافة مطلقاً ، فان الذي يضاف الى المرء هو ما قاله أو رواه عنه ثقة ، وأما تقويل الانسان ما لم يقل والتزامه إياه ، وأخذ نتائج منه ، فهذا لا يدل عليه منقول ، ولا يؤيده معقول ، ولا جرى عليه التابعون باحسان ، وانما نشأ هذا لما استفحل أمر التقليد ، وعمت أقوال المتبوعين معاملة أقوال المعصوم ونصوص الكتاب نعوذ بالله من ذلك ، وذلك ظاهر لمن له أدنى إلمام بسير القرون ، واختلاف حال السلف عن الخلف في تحمل العلوم على أصولها

(١٠) تمثل الشعراء بمذهب الجهمية

قال الامام ابن تيمية في كتابه « موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول » : أصل قول الجهمية هو نفي الصفات بما يزعمونه من دعوى العقليات التي عارضوا بها النصوص اذ كان العقل الصريح الذي يستحق أن تسمى قضاياه عقليات موافقا للنصوص لا مخالفا ، ولما كان قد شاع في عرف الناس ان قول الجهمية مبناه على النفي صار الشعراء ينظمون هذا المعنى كقول أبي تمام :

جهمية الاوصاف الا أنهم قد لقبوها جوهر الاشياء اه

* * *

(١١) بيان ان مذهب الجهم متلقى عن الجعد بن درهم

وشيء من أنباء الجعد وقتله

روى الأئمة ان أول من قال بخلق القرآن وخاض فيه وصيره هجيرا الجعد بن درهم ، وكان مؤدب^(١) مروان آخر ملوك بني أمية ، ولذا كان يلقب مروان بالجعدي ، لانه تعلم من الجعد مذهبه في القول بخلق القرآن والقدر وغير ذلك ، وكان الناس يذمون مروان بنسبته اليه ، قاله ابن الاثير

وقال الحافظ ابن عساكر في تاريخه : أقام الجعد بدمشق حتى ظهر القول بخلق القرآن ، فتطلبه بنو أمية فهرب وسكن الكوفة ، فلقبه بها

(١) المؤدب : معلم الأدب ، وهو رياضة النفس على حسن الاخلاق وفعل المكارم ، بمثابة المرابي والمرشد ، أو معلم الملوم الادبية . ولا يخفى ان الامراء تعنى بانقاذ امانال الفضلاء لتربية ابنائها على الملوم والاخلاق الفاضلة

الجهم بن صفوان فتقلد عنه هذا القول

وقال ابن الاثير في سيرة هشام : قيل ان الجعد بن درهم أظهر مقالته بخلق القرآن أيام هشام بن عبد الملك فأخذه هشام وأرسله الى خالد القسري وهو أمير العراق وأمره بقتله ، فحبسه خالد ولم يقتله ، فبلغ الخبر هشاماً ، فكتب الى خالد يلومه ويعزم عليه أن يقتله ، فأخرجه خالد من الحبس في وثاقه ، فلما صلى العيد يوم الاضحى ، قال في آخر خطبته : انصرفوا وضحوا تقبل الله منكم ، فاني أريد ان أضحي اليوم بالجعد بن درهم ، فانه يقول ما كلف الله موسى ، ولا أخذ ابراهيم خليلاً ، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً : ثم نزل فذبحه اه

وقال ابن تيمية في الرسالة الحموية : أصل فشو البدع بعد القرون الثلاثة وان كان قد نبغ أصلها في أواخر عصر التابعين (ثم قال) وأول من حفظ عنه مقالة التعطيل في الاسلام هو الجعد بن درهم ، وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فنسبت اليه اه ومراده بالتعطيل حمل الصفات الربانية على المجاز المستلزم للتعطيل لان التعطيل من لوازم مذهبه^(١)



(١٢) نبذة من أخبار خالد بن عبد الله القسري قاتل الجعد أستاذ الجهم

اشتهر هذا الامير بقتل الجعد ، وحكى ذلك كل من رد على الجهمية ومن الناس من أثنى عليه بقتله ، وعده غيرة على الدين ، ومنهم من رأى ان قتله كان لامر سياسي الا انه موه باسم الدين اقتناعاً للعامة بقتله . ثم منهم من وهم ان هذا الامير كان من الاخيار لأثره هذا ، ومنهم من رأى

(١) المنار : المراد بالتعطيل تقي الصفات لاقني وجود الاله

عكس هذا . ولما كان من متمات بحثنا هذا إماطة الحجاب عن الارتباب في هذا الرجل عولنا على أئمة التاريخ في ترجمة حاله^(١) وماخصها ان خالدا هذا هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز من بجيلة ، فأما جده (يزيد) فإنه أسلم مع أبيه أسد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه رواية يسيرة ، ثم خرج في عهد عمر رضي الله عنه في بعوث المسلمين الى الشام ، فكان بها ، وكان مطاعاً في اليمن عظيم الشأن ، ثم صار من قواد معاوية وأمرأه بعوته وأما ابنه (عبد الله) فلم تكن له نباهة آباءه ، وأهل المثالب يقولون انه دعي ، وكان مع عمرو بن سعيد بن الأشدق على شرطته أيام خلافة عبد الملك بن مروان ، فلما قتل هرب ، حتى سألت اليمانية عبد الملك فيه لما أمن الناس عام الجماعة فأمنه ، ثم مضى عبد الله الى حبيب بن مسلمة الفهري وكتب له ، وكان كاتباً مفوهاً ، وذلك في خلافة عثمان بن عفان فنال حظاً وشرفاً . وكان يقال له خطيب الشيطان ، ووسم خيله (القسري) ثم تدسس ليملك خيلاً في بلاد قسر^(٢) فننعته بجيلة ذلك أشد المنع ، فلم يقدر عليه حتى عظم أمره

ثم نشأ ابنه خالد بالمدينة ، وكان خالد — هذا المترجم — في حداثة يتبع المغنين والمختشين ، وكان يقال له (خالد الخريث^(٣)) وقع في شعر عمر بن أبي ربيعة تلقبيه بذلك . ثم صار في مرتبة أبيه بعده ، الى أن ولاه هشام ابن عبد الملك العراق سنة (١٠٥) واستمر الى أن عزله هشام سنة (١٢٠)

(١) كالطبري وابن الاثير والاعاني (٢) بفتح القاف وسكون السين بطن من بجيلة . وبجيلة كسيفة حي باليمن من معداه قاموس (٣) الخريث بكسر الخاء وتشديد الراء الدليل الحاذق العارف بأخراة الارض اي مضايقتها

وكان الاسلام بالعراق في عهد خالد ذليلاً ، فكان يولي النصارى
والمجوس على المسلمين ، وكان أهل الذمة يشتركون الجوارى المسلمات
ويطوئن ، فيطلق لهم ذلك ولا يغير عليهم . وسبب ذلك ان أم خالد كانت
رومية نصرانية ، ابنتى بها أبوه في بعض أعيادهم فأولدها خالدًا وأسدًا ،
ولم تسلم هي ، وبنى لها خالد بيعة في قبلة المسجد الجامع بالكوفة فكان اذا
أراد المؤذن في المسجد ان يؤذن ضرب لها بالناقوس ، واذا قام الخطيب
على المنبر رفع الناس أصواتهم بالقراءة ، فذمه الناس والشعراء ، فمن
ذلك قول الفرزدق :

ألا قطع الرحمن ظهر مطيبة أتتسا تهادى من دمشق بخالد
فكيف يؤم الناس من كانت أمه تدين بأن الله ليس بواحد
بنى بيعة فيها النصارى لأمه ويهدم من كفر منار المساجد
وكان خالد قد أمر بهدم منار المساجد ، لانه بلنه ان شاعرا قال :
ليتني في المؤذنين حياتي انهم يبصرون من في السطوح
فيشيرون أو تشير اليهم بالهوى كل ذات دلّ مليح
فلما سمع هذا الشعر أمر بهدمها

وكان يبالغ في سب أمير المؤمنين علي عليه السلام ، تؤثر عنه حكايات
في ذلك عديدة وكان مذمماً للغاية ، هجاه الفرزدق والاعشى بأشعار كثيرة
ويذكر به أفعال تقشعر لذكورها الابدان ، وقد قص شيئاً منها ابن الاثير
وأبو الفرج الاصبهاني ، ولما قصها أبو الفرج قال في اثرها : اللهم العن
خالدا واخره وجدد على روحه العذاب

(١) المنار : الظاهر انه اعتذر بذلك اعتذاراً لأن هذا لا يصح ان يكون سبياً

ثم آل أمر خالد الى أن غضب عليه هشام، وعزله عن العراق، وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفي، وأمره بحبسه وتعذيبه، فحبسه ثمانية عشر شهرا بالخيرة مع ابنه، الى أن أمر الوليد بضربه فضرب، ثم حبس، ثم حمل الى يوسف بن عمر فعذب به عذابا شديدا، ثم قتله ودفنه بالخيرة في المحرم سنة ١٢٦ وكانت غلة خالد بالعراق عشرين الف الف، ولما ختن نائبه طارق ابنه بالكوفة أهدي اليه بخالد الف وصيف ووصيفة سوى الاموال والثياب، ولما ولي بعد خالد يوسف الثقفي قال يحيى بن نوفل يمتدحه، ويعرض بأعمال خالد الذميمة :

أنا وأهل الشرك أهل زكنا وحكامنا فيما نسر ونجهر
فلما أنا يوسف الخير أشرقت له الارض حتى كل واد منور
وحتى رأينا العدل في الناس ظاهراً وما كان من قبل العقيلي يظهر
ومن أراد استيفاء أحواله وأخباره بأفطع من هذا مما نصون عنه
بحثنا المسطور فليرجع الى كتاب الاغانى لابي الفرج الاصبهاني رحمه الله

••

(١٣) حمل الاثرية على الجهمية والاغراء

قال الشهرستاني: كان السلف كلهم من أشد الرادين على جهنم ونسبته الى التعطيل اه ومن أشهر كتبهم في الرد عليه كتاب الامام أحمد بن حنبل في الرد على الجهمية، وكتاب الامام الدارمي، وكتاب التوحيد والرد على الجهمية للامام البخاري في آخر صحيحه، وفي كتابه خلق الافعال أيضاً. وكتاب (الرد على الجهمية) لابن أبي حاتم وغير هؤلاء ومن أوسع من عني بالرد عليهم من المتأخرين الامام ابن تيمية في عدة

من مؤلفاته وفتاويه، وكذلك تلميذه الامام ابن القيم في بعض مؤلفاته مثل كتاب
اجتماع الجيوش الاسلامية على حرب المعطلة والجهمية وكتاب الكافية الشافية
وقد عد الامام أبو القاسم الطبري الحافظ في كتابه (شرح أصول
السنة) ممن قال «القرآن كلام الله غير مخلوق» نحواً من خمسمائة وخمسين
نفساً من التابعين والائمة المرضيين، على اختلاف الاعصار، ومضي السنين
والاعوام، (قال) وفيهم نحو من مائة امام، ممن أخذ الناس بقولهم،
وتدينوا بمذاهبهم، لا ينكر عليهم منكر، (قال) ومن أنكر قولهم
استتابوه، او أمروا بقتله أو نفيه أو صلبه^(١) قال ولا خلاف بين الامة
ان أول من قال «القرآن مخلوق» جعد بن درهم في سني نيف وعشرين
ومائة ثم جهنم بن صفوان اه

**

(١٤) رأي الاثرية في الجهمية

احسن من كتب في هذا المعنى الامام ابن قتيبة في شرح مختلف
الحديث، فانه صنفه انتصاراً لحاملي الاثر من خصومهم، وكان ابن قتيبة
للأثرين كالجاحظ للجهمية خطيباً مقوفاً كاتباً بليغاً، وهاك مقاله في مقدمة
كتابه المنوه به: «اما بعد اسعدك الله تعالى بطاعته، وحاطك بكلاءته،
ووفقتك للاحق برحمته، وجعلك من أهله، فانك كتبت اليّ تعلمني
ما وفتت عليه من ثاب أهل الكلام أهل الحديث وامتهانهم، واسبابهم
في الكتب بدمهم، ورميهم بحمل الكذب ورواية المتناقض، حتى
وقع الاختلاف، وكثرت النحل، وتقطعت العصم، وتعادى المسلمون،

(١) هذا موضع الشاهد من قولنا في الترجمة: والاغراء بهم

وأكفر بعضهم بعضا وتعاقد كل فريق منهم لمذهبه بجنس من الحديث (الى ان قال) ومع روايتهم كل سخافة تبعث على الاسلام الطاعنين ، وتضحك منه الملحدين ، وزهد في الدخول فيه المرتادين ، وتزيد في شكوك المرتابين ، وقد قنعوا من العلم برسمة ، ومن الحديث باسمه ، ورضوا بان يقولوا فلان عارف بالطرق ورواية الحديث ، وزهدوا في ان يقال عالم بما كتب ، او عامل بما عمل (ثم قال) هذا ما حكيت من طعنهم على اصحاب الحديث . (ثم قال) وقد تدبرت مقالة أهل الكلام ، فوجدتهم يقولون على الله مالا يعلمون ، ويفتنون الناس بما يأتون ، ويبصرون القدي في عيون الناس ، وعيونهم تطرف على الاجذاع ، ويتهمون غيرهم في النقل ، ولا يهتمون آراءهم بالتأويل ، ومعاني الكتاب والحديث وما اودعاه من لطائف الحكمة ، وغرائب اللغة ، لا يدرك بالطرفة والتولد والعرض والجوهر والكيفية والكمية والأينية . ولو ردوا المشكل منهما الى أهل العلم بهما لوضح لهم المنهج ، واتسع لهم المخرج ، ولكن يمنع من ذلك طلب الرياسة ، وحب الاتباع ، واعتقاد الاخوان بالمقالات ، والناس اسراب طير يتبع بعضها بعضا ، ولو وجد لهم من يدعي النبوة او الربوبية لوجد على ذلك أتباعا وأشياء ، وقد كان يجب مع ما يدعون من معرفة القياس ، وإعداد آلات النظر ، ان لا يختلفوا كما لا يختلف الحساب والمساح والمهندسون ، فما بهم أكثر الناس اختلافا ليس منهم واحد الا وله مذهب في الدين يدان برأيه ، وله عليه تبع (١)

(١) يشير الى فرق المعتزلة العديدة ، كما تراها في كتب الملل والنحل ، وهم

المعتزون بمذاهب أهل الأثر

(ثم قال ابن قتيبة) « وقد كنت في عنفوان الشباب، وتطلب الآداب، أحب ان اتعلق من كل علم بسبب وان أضرب فيه بسهم، فربما حضرت بعض مجالسهم، وانا منترتهم، طامع ان اصدر عنهم بفائدة أو كلمة تدل على خير، او تهدي لرشد، فارى من جرائعهم على الله تبارك وتعالى، وقلة توقيهم، وحملمهم انفسهم على العظام لطرده القياس ما ارجع معه خاسرا نادما، ولقد غلا كثير من الاثرية في الحمل على الجهمية، فصرح بالتكفير واستحلال الدم، نعوذ بالله من الغلو، حتى قام الائمة المحققون وحظروا النبز بالكفر، كما ستراه في بحث على حiale، آخر مقالنا هذا ان شاء الله ومن استقرأ كلام السلف في ذم الجهمية، تبين له ان سببه شيان (الاول) شدة تمسك السلف بالظواهر، واعظام تأويلها بوجه ما، ولو سوغته اللغة بما فيها من المجاز، كأنهم أشفقوا ان يفضي باب التأويل الى التعطيل، بل رأوا هو هو، حتى ان لازم المذهب عندهم مذهب^(١) قال ابن تيمية: ولما كان أصل قول جهم هو قول المبدلين من الصابئة، وهؤلاء شر من اليهود والنصارى كان الائمة يقولون ان قولهم شر من قول اليهود والنصارى.

(السبب الثاني) قال ابن تيمية: ان الزنادقة المحضة مثل الملاحدة من القرامطة ونحوهم كانوا ايان ظهورهم يتسترون بالنجهم والتشيعاه فالتبسوا على السلف، لذلك حملوا عليهم كما روى البخاري في كتاب خلق الافعال عن أبي عبيد قال: ما ابالي أصليت خاف الجهمي والرافضي، أو صليت

(١) لانفس مامر من البحث والتفصيل في هذه المسألة في الكلام على التنبيه لما وقع من خلال النقل عن الجهمية وغيرهم فتذكر

خلف اليهودي والنصراني ، ولا يسلم عليهم ولا يمارون ولا يناكحون
ولا يشهدون ولا تؤكل ذبائحهم اه ولا يشك ان مرادهم اوائك الزنادقة
الملاحدة الذين تسمروا بالتجهم والتشيع . اما صالحوا الجهمية والشيعة
فبمعزل عن هذا الجرح كما لا يخفى

••

(١٥) رأي الجهمية في الاثرية

لما كان القصد مما جمعناه الوقوف على الحقائق التاريخية فيه ، كان
من تمامه العلم بآراء هذه الفرق بعضها في بعض ، ليزداد بصيرة في مذهبها
من يروم مناقشتها الحساب ، قال الامام ابن بطّة : ومن كلامهم — يعني
الجهمية — من انحل مذهب الاثر واعتقد ما في الاحاديث على ظاهرها ،
فهو حشوي زائغ ، وعند التحقيق كافر اه^(١)

وقال الاديب عبد المؤمن الاصفهاني في « أطباق الذهب »^(٢)
مامثاله : مثل المقلد بين يدي المحقق ، مثل الضرير بين يدي البصير المحقق ،
ومثل الحكيم والحشوي ، كالميتة والمشوي ، ما المقلد الا جل مخشوش ،
له عمل مغشوش ، قصاراه لوح منقوش ، يقنع بطواهر الكلمات ، ولا
يعرف النور من الظلمات ، يركض خيول الخيال ، في ظلال الضلال ،
شغله نقل النقل ، عن نخبة العقل ، واقنعه رواية الرواية ، عن در الدراية ،
يروى في الدين عن شيخ هم ، كمن يقوده أعمى في ليل مدلمهم ، ومن طلب

(١) أي لان الظاهر - على ما يفهمونه - يؤدي الى التمثيل والتشبيه بالخلوقات ،
وقد تقدم في فلسفة جهم شيء من التحقيق في معنى الظاهر ، بما يرجع الخلاف لفظيا

(٢) في المقالة السادسة والثلاثين

العلم بالنعنت ، تورط في هوة العنت ، والحق وراء السماع ، والعلم بمعزل
عن الرقاع ، فما أسمد من هدي الى العلم ونزل رباعه ، وأري الحق حتما
ورزق اتباعه ، وما أشقى جهالا قلدوا الآباء فهم على آثارهم مقتدون ،
(أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) اه

ومن مثل هذا يعلم مبلغ نفرة الجهمية من الاثر والاثريين ، وبندم ايام
بما تجل أقدارهم عنه ، ولئن وجد في الرواة من جعل همه التوسع في الرواية
دون الدراية ، — وهم الذين عناهم الامام مسلم في مقدمة صحيحه — الا ان
أئمة الرواية لم يمتنعوا الا بالبحث والتأصيل ، والتفريع والتخريج ، وقد طبق
علمهم الآفاق ، وسارت بمذاهبهم وأصولهم الركبان ، وسند ذكر تفريط
الجهمية في المنقول ، وهو ما حدام الى النيل من أهله ، وبالله التوفيق

❦

(١٦) تفريط الجهمية في السمع والنقل ، وسواهم في النباية بالعقل

من المعلوم ان الجهمية قصروا في علم السمع والنقل ، وهو علم الرواية ،
فجانبوا كثيرا من المرويات المشهورة المروفة عند أهلها ، وتمحلوا في ردها
أو تأويلها بما لا يرتضيه منصف ، فقاتهم ركن عظيم من أركان أصول الشرع
وهو السنة ، وما يتبعها من علومها المتنوعة ، وفنونها المحررة ، وهل يزرى
بعلم زخر بحره ، وتلاطم بالشرائع موجه ؟

قال المقبلي في العلم الشاخي — في مخططة المستزلة في رد الحديث
الصحيح بمجرد الرأي مامثاله : فان صح الحديث لزمننا تصديقه ، فان فهمنا
معناه والا رددنا علمه الى الله سبحانه ، ولكن هذه طريقة اعتمدها متكلمة
المعتزلة ، وهي مردودة عتلا وسمعا ، فلذا ردوا أحاديث الصفات ، وفي

القرآن ما في الحديث من ذلك وما ينبغي التفرقة بينهما، وما أحسن جواب
بعض المحدثين، وقد سئل عن أحاديث الصفات فقال: رواها الذين رووا
لنا الصلاة والزكاة وسائر الشريعة فالواجب تسليم ما صحح، وما اشبهه بمعناه
رددناه الى الله سبحانه، فلا يغر نك قولهم آحادي فلا تقبله في مقابلة العقل،
لان مارواه الثقات مقبول، والا اطرحنا أكثر الشريعة، والدليل على
قبول الآحاد شامل لكل الدين، والتفرقة جاءت من قبلهم لان قبل الله
ورسوله، اذ العقل قد فرضنا انه لم يدرك حقيقة ذلك، فكيف يقال
انه مصادم له اه

وأما خصوم الجهمية فهم أتقنوا علم السمع، وعلموا منه كثيرا من
القواعد، وتواتر من السمع لهم ما لم يتواتر لغيرهم، الا انهم ظنوا ان العلوم
العقلية معارضة لما عرفوه من السمع الحق، وحسبوا ان الاصغاء لعلم المعقول
والنظر اليه يستلزم البدعة من غير بد، مع ان العقل السليم لا يتنافى السمع
الصحيح. قال الامام الغزالي رحمه الله في الاحياء: لا غنى بالعقل عن
السمع، ولا غنى بالسمع عن العقل، فالداعي الى محض التقليد مع عزل
العقل بالكلية جاهل، والمكتفي بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة
مغرور، فايك أن تكون من أحد الفريقين، وكن جامعاً بين الاصلين،
فان العلوم العقلية كالأغذية، والعلوم الشرعية كالادوية اه



(١٧) بيان ان انقسام الناس الى التجهيم يشبه انقسامهم الى التشيع

وذلك ثلاث درجات

قال الامام ابن تيمية: ليس الناس في التجهيم على مرتبة واحدة، بل

انقسامهم في التجهم يشبه انقسامهم في التشيع ، فان التجهم والرفض هما
 أعظم البدع أو من أعظم البدع التي أحدثت في الاسلام ، ولهذا كان
 الزنادقة المحضة مثل الملاحدة من القرامطة ونحوهم انما يتسترون بهذين
 بالتجهم والتشيع ، وقد كان أمرهم اذ ذلك لم ينتشر وينفرع ويظهر فساده
 كما ظهر فيما بعد ذلك

فان الرافضة القدماء لم يكونوا جهمية ، بل كانوا مثبتة للصفات ،
 وغالبهم يصرح بلفظ الجسم وغير ذلك ، كما قد ذكر الناس مقالاتهم ،
 كما ذكر أبو الحسن الأشعري وغيره في كتب المقالات
 والجهمية لم يكونوا رافضة بل كان الاعتزال فاشيا فيهم ، والمعزلة
 كانوا ضد الرافضة ، وهم الى النصب أقرب ، فان الاعتزال حدث من
 البصرة ، والرفض حدث من الكوفيين ، والتشيع كثر في الكوفة ،
 وأهل البصرة كانوا بالصد ، فلما كان بعد عهد زمن البخاري من عهد بني
 بويه ، فشا في الرافضة التجهم واكثر أصول المعزلة ، وظهرت القرامطة
 ظهوراً كبيراً ، وجرى حوادث عظيمة

والقرامطة بنوا أمرهم على شيء من دين المجوس وشيء من دين
 الصابئة ، فأخذوا عن هؤلاء الاصلين النور والظلمة ، وعن هؤلاء العقل
 والنفوس ، ورتبوا لهم ديناً آخر ليس هو هذا ولا هذا ، وجعلوا على ظاهره
 من سيما الرافضة ما يظن الجاهل به انهم رافضة ، وانما هم زنادقة منافقون ،
 اختاروا ذلك — لان الجهل والهوى في الرافضة اكثر منه في سائر
 أهل الاهواء

والشيعة هم ثلاث درجات (شرها الغالية) الذين يجعلون لعل شيئا

من الإلهية أو يصفونه بالنبوة ، وكفر هؤلاء بين لكل مسلم يعرف الاسلام وكفرهم من جنس كفر النصارى من هذا الوجه

(والدرجة الثانية) وهم الرافضة المعروفون كالامامية وغيرهم الذين يعتقدون ان عليا هو الامام الحق بعد النبي صلى الله عليه وسلم بنص جلي أو خفي ، أو انه ظلم ومنع حقه ، ويغضون أبا بكر وعمر ويشتمونهما ، وهذا هو عند الأئمة سيما الرافضة وهو بغض أبي بكر وعمر وسبهما

(والدرجة الثالثة المفضلة) من الزيدية وغيرهم الذين يفضلون عليا على أبي بكر وعمر ، ولكن يعتقدون امامتهما وعدالتهما ويتولونهما ، فهذه الدرجة وان كانت باطلة فقد نسب اليها طوائف من أهل الفقه والعبادة وليس أهلها قريبا ممن قبلهم ، بل هم الى أهل السنة أقرب منهم الى الرافضة ، لانهم ينازعون الرافضة في امامة الشيخين وعدلها وموالاةهما ، وينازعون أهل السنة في فضاهما على علي ، والنزاع الاول أعظم ، ولكن هم المرقاة التي تصعد منه الرافضة ، فهم لهم باب

(وكذلك الجهمية على ثلاث درجات) (فشرها الغالية) الذين ينفون أسماء الله وصفاته ، وان سموه بشيء من أسمائه الحسنی قالوا هو مجاز ، فهو في الحقيقة عندهم ليس بحی ولا عالم ولا قادر ولا سمیع ولا بصیر ولا متكلم ، ولا يتكلم ، وكذلك وصف العلماء حقيقة قولهم كما ذكره الامام أحمد فيما ذكره في الرد على الزنادقة والجهمية ، قال فعند ذلك تبين للناس انهم لا يثبتون شيئا ، ولكنهم يدفعون عن أنفسهم الشنعة بما يقرون في العلانية ، فاذا قيل لهم فمن تعبدون قالوا نعبد من يدبر أمر هذا الخلق . فقلنا فهذا الذي يدبر أمر هذا الخلق هو مجهول لا يعرف بصفة ، قالوا

نعم، قلنا قد عرف المسلمون انكم لا تثبتون شيئا، انما تدفعون عن أنفسكم
الشنعة بما تظهرون، فقلنا لهم هذا الذي يدبر هو الذي كلم موسى، قالوا
لم يتكلم ولا يتكلم، لان الكلام لا يكون الا بجارحة، والجوارح عن الله
متنفية، واذا سمع الجاهل قولهم يظن انهم من أشد الناس تعظيما لله،
ولا يعلم انهم انما يقودون بقولهم الى ضلال. وقال أبو الحسن الاشعري
في كتاب المقالات والابانة: الذين نفوا صفات رب العالمين، وقالوا انه
لا علم له ولا قدرة ولا سمع ولا بصر، انما أخذوه عن اخوانهم من
المتفلسفة الذين يزعمون ان للعالم صانعا لم يزل ليس بعالم ولا قادر ولا سميع
ولا بصير، غير ان هؤلاء لم يستطيعوا ان يظهروا ما كانت الفلاسفة تظهره،
فاظهروا معناه، وقالوا ان الله عز وجل عالم قادر سميع بصير من طريق
التسمية من غير ان تثبت له علما أو قدرة أو سمعا أو بصرا. وقد أفصح
بذلك رجل يعرف بابن الاباري كان ينتحل قولهم، فزعم ان الباري تعالى
عالم قادر سميع بصير في المجاز لا في الحقيقة. وهذا القول وهو قول الغالية
النفاة للاسماء حقيقة هو قول القرامطة الباطنية، ومن سبقهم من اخوانهم
الصائبة الفلاسفة

(والدرجة الثانية) من التجهم هو تجهم المعتزلة ونحوهم الذين يقرون
باسماء الله الحسنى في الجملة لكن ينفون صفاته، وهم أيضاً لا يقرون باسماء
الله الحسنى كلها على الحقيقة، بل يعملون كثيرا منها على المجاز، وهؤلاء
هم الجهمية المشهورون

(والدرجة الثالثة) هم الصفاتية المثبتون المخالفون للجهمية، لكن
فيهم نوع من التجهم كالذين يقرون باسماء الله وصفاته في الجملة، لكن

يردون طائفة من اسمائه وصفاته الخبرية وغير الخبرية ويتأولونها، كما تأول
الاولون صفاته كلها . ومن هؤلاء من يقر بصفاته الخبرية الواردة في
القرآن دون الحديث كما عليه كثير من أهل الكلام والفقهاء وطائفة من أهل
الحديث (ومنهم) من يقر بالصفات الواردة في الاخبار أيضاً في الجملة ،
لكن مع نفي وتعطيل لبعض ما ثبت بالنصوص وبالمعقول ، وذلك كما
محمد بن كلاب ومن اتبعه . وفي هذا القسم يدخل أبو الحسن الأشعري
وطوائف من أهل الفقه والكلام والحديث والتصوف ، وهؤلاء إلى
أهل السنة المحضة أقرب منهم إلى الجهمية والرافضة والخوارج والقدرية،
لكن اتسب إليهم طائفة هم إلى الجهمية أقرب منهم إلى أهل السنة
المحضة ، فإن هؤلاء ينازعون المعتزلة نزاعاً عظيماً فيما يثبتونه من الصفات
أعظم من منازعتهم لسائر أهل الإثبات فيما ينفونه

وأما المتأخرون فإنهم والوا المعتزلة وقاربوهم أكثر ، وقد موهم على أهل
السنة والإثبات وخالفوا أوليهم (ومنهم) من يتقارب تقيه وإثباته، وأكثر
الناس يقولون إن هؤلاء يتناقضون فيما يجمعونه من النفي والإثبات اه^(١)

(١) للكلام تمة واسعة في التسعينية فليراجعها المستزيد

البحث الثاني في المعتزلة

وفيه مطالب

(١) التعريف بالمعتزلة

هذه الفرقة - كفرقة أهل السنة والجماعة - من أعظم الفرق
 رجالاً ، وأكثرها تابعاً ، فإن شيعة العراق على الاطلاق معتزلة ، وكذلك
 شيعة الاقطار الهندية والشامية والبلاد الفارسية ، ومثلهم الزيدية في اليمن ،
 فانهم على مذهب المعتزلة في الاصول ، كما قاله العلامة المقلي في العلم
 الشاخر ، وهؤلاء يعدون في الساميين بالملايين ، بهذا يعلم أن الجهمية
 المعتزلة ليسوا في قلة ، فضلاً عن أن يظن أنهم انقرضوا ، وأن لا فائدة
 للمناظرة معهم ، وقائل ذلك جاهل بعلم تقويم البلدان ومذاهب أهلها
 أما البلاد المنتشرة فيها مذهب الساف الاثرية خاصة في العقائد ،
 فهي بلاد نجد بتمامها ، فانها سلفية الاعتقاد ، لكن يغلب عليهم الجفاء
 والغلو . وفي بلاد الهند طوائف سلفية داعية الى مذهب الساف بنشر كتبه
 ودرسها . وفي العراق والحجاز والشام ومصر جماعات قليلة منهم يغلب
 عليهم الاعتدال

وأما السواد الاعظم من معظم البلاد الاسلامية فعلى مذهب
 الاشعري أعني ما يدعى انه مذهبه من تلك العقائد المبثوثة في كتب
 المتأخرين المتداولة ، والا فلا شعري قد صرح في كتابه الابانة (*) بأنه
 على مذهب الامام احمد في الاعتقاد تصریحاً لا شبهة فيه . ولا ادل على

(*) طبع في الهند بجيدر آباد الدكن سنة ١٣٢١

مذهب المرء وعقده من كلامه أو ما خطه يمينه ، وسنذكر في آخر
البحث مادعا الى انتشار مذهب الاشعري فانظر



(٢) سبب تلقيهم بالمعتزلة

قال الامام عبد القادر البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق : كان
واصل ابن عطاء من متتابي مجلس الحسن البصري في زمان فتنه الازارقة ،
وكان الناس يومئذ مختلفين في أصحاب الذنوب من أمة الاسلام على فرق :
فرقة تزعم أن كل مرتكب لذنوب صغير أو كبير مشرك بالله ، وهو قول
الازارقة . وفرقة تزعم أن صاحب الذنوب المجمع على تحريمه كافر
مشرك . وفرقة تقول انه منافق ، وكان علماء التابعين في ذلك العصر
مع أكثر الامة يقولون : إن صاحب الكبيرة من أمة الاسلام مؤمن
لما فيه من معرفته بالرسول وبالكتب المنزلة من الله تعالى ، ولمعرفته بان
كل ما جاء من عند الله حق ، ولكنه فاسق بكبيرته ، وفسقه لا ينفي
عنه اسم الايمان والاسلام . فلما ظهرت فتنه الازارقة بالبصرة والاهواز ،
واختلف الناس في أصحاب الذنوب على ما ذكرنا ، خرج واصل بن عطاء
عن قول جميع الفرق المتقدمة ، وزعم أن الفاسق من هذه الامة لا مؤمن
ولا كافر ، وجعل الفسق منزلة بين منزلتي الكفر والايمان ، فلما سمع الحسن
البصري من واصل بدعته هذه طرده عن مجلسه فاعتزل عند سارية من
سوازي مسجد البصرة وانضم اليه صديقه عمرو بن عبيد ، فقال الناس
يومئذ فيهما انهما قد اعتزلا قول الامة ، وسمي أتباعهما من يومئذ معتزلة ،
ثم انهما اظهرا قولهما في المنزلة بين المنزلتين ، وضما اليها دعوة الناس الى

م
المرء

قول القدرية على رأي معبد الجهنى اه ملخصاً

وذكر ابن خلكان في ترجمة قتادة البصري - أحد كبار علماء التابعين -
أن قتادة دخل مرة مسجد البصرة فاذا بعمر وبن عبيد وقرمه قدا عزلوا
من حلقة الحسن البصري وحلقوا وارتفعت اصواتهم ، فامهم وهو يظن
انها حلقة الحسن ، فلما صار معهم عرف انها ليست هي فقال : انما هؤلاء
المعتزلة ثم قام عنهم اه

(٣) تاليف المعتزلة بالجهمية

علم مما اسلفنا من حياة جهم وفلسفته أن انتشار آراء جهم وشيوع
مسائله بين أولي العلم ولهج الناس بها كان سبق العصر الذي ظهرت
فيه المعتزلة ، الا انه سبق قريب ، فان هذه الفرق والنحل الاسلامية
كانت تترى يأتي بعضها اثر بعض ، وربما تعاصرت ، وقد يخمل بعضها
ببهاة بعض ، أو تندغم احداها في الاخرى ، لما يجمعهما من القول
بمسائل تنفقان عليها ، ومن ذلك المعتزلة مع الجهمية ، فان المعتزلة اخذت
عن الجهمية القول بنفي الرؤية والصفات وخلق الكلام ووافقها عليها ،
وان كان لكل فروع واختيارات غير ما لاخرى ، الا ان ما توافقوا فيه
من هذه المسائل الكبيرة جعلهم كأهل المذهب الواحد ، فلذلك اطلق ائمة
الاثر لفظ الجهمية على المعتزلة ، فالامام احمد في كتابه الرد على الجهمية ،
والبخاري في الرد على الجهمية ومن بعدهم ، انما يعنون بالجهمية فيه المعتزلة ، لانهم
كانوا في المتأخرين اشهر بهذه المسائل من الجهمية ، ولكن كان غرض
المتقدمين بالرد والمناقشة الجهمية ، لانها الأم لغيرها ، والسابقة على سواها

في الظهور ، بل هي اول فئسة ظهرت في الاسلام بمذهب التأويل ،
وقام حزبها بالدعوة الى مذهبها في ريعان الدولة الأموية كما تقدم ، فلذا
غلب عند السلف اسمها على غيرها ممن قاربها وتلقى عنها

بما ذكرناه يزول الاشكال والاشتباه الذي يراه بعضهم من ذكر
الجهمية في تلك المسائل ، مع انها في عرفهم وما يدرسونه في كتب الكلام
المتأخرة مضافة الى المعتزلة . وحاصل دفع الاشكال ان تلقيهم بالجهمية إنما
كان لما وجد من موافقتهم للجهمية في تلك المسائل مع مراعاة سبقهم
فيها على المعتزلة ، وتمهيدهم السبيل للتوسع فيها فاحفظه

٢٧
٢٨
— قال الامام ابن تيمية في منهاج السنة^(١) : لما وقعت محنة الجهمية نقاة
الصفات في اوائل المائة الثالثة على عهد المأمون واخيه المعتصم ثم الواثق ،
ودعوا الناس الى التجهم وابطال صفات الله تعالى ، وطلبوا أهل السنة
للمناظرة ، لم تكن المناظرة مع المعتزلة فقط ، بل كانت مع جنس الجهمية
من المعتزلة والنجارية والضرارية وانواع المرجئة ، فكل معتزلي جهمي ،
وليس كل جهمي معتزليا ، لكن جهم اشد تعظيلا ، لأنه ينفي الاسماء
والصفات . وبشر المريسي كان من المرجئة ولم يكن من المعتزلة ، بل كان
من كبار الجهمية اه

(٤) انتشار مقالة الجهمية بواسطة كبار المنزلة وغيرهم

قال الامام ابن تيمية : لما كان ، بعد المائة الثانية انتشرت المقالة التي
كان السلف يسمونها (مقالة الجهمية) بسبب بشر بن غياث المريسي
وذويه (ثم قال) وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس مثل

أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر بن فورك في كتاب (التأويلات)
 وأبو عبد الله محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي سماه (تأسيس التقديس)
 ويوجد كثير منها في كلام غير هؤلاء مثل أبي علي الجبائي وعبد الجبار بن
 أحمد الهمداني وأبي الحسين البصري وغيرهم ، هي بعينها التأويلات التي
 ذكرها بشر المريسي في كتابه ، كما يعلم ذلك من كتاب الرد الذي صنفه
 عثمان بن سعيد الدارمي أحد الأئمة المشاهير في زمن البخاري ، وسمى
 كتابه (رد عثمان بن سعيد ، على الكاذب العنيد ، فيما افتري من التوحيد)
 فانه حكى هذه التأويلات باعيانها عن بشر المريسي ثم ردها ، ويعلم بمطالعة
 كتابه ان هذا القول الساري في هؤلاء المتأخرين الذين تسموا بالخلف
 هو مذهب المريسية إه

وقال الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال في ترجمة بشر المريسي : انه
 تفقه على أبي يوسف فبرع ، واتفق علم الكلام ، ثم جرد القول بخناق القرآن
 وناظر عليه ، ولم يدرك الجهم بن صفوان ، انما اخذ مقالته ، واحتج لها
 ودعا اليها إه



(٥) ظهور دولة الجهمية (المعنزلة) في عهد المأمون ، ودعواه الى مذهبهم وما
 جرى على المشاهير في مسألة خناق القرآن

من سنن الاحزاب والفرق في هذا الكون ، أن كل حزب قوي
 عصيته وعصيته ان يتناول الى الغلب ، ويتطال على التغلب ، فيصرف
 مستطاعه لهذه السبيل ، ويسمى جهده لتأييده من اي طريق امكن ، ابتغاء
 انقراذه ، وتكثير سواده ، فاذا اتبح لعصبة ما ان تمدها قوة سلطان قاهر ،

وجبار مستبد ، وجد لها من تفوذ الحكامة وانتشار الدعوة ، وكثرة الاعوان ، ما تبلغ به اقصى امانيتها ، والناس على دين ملوكهم بين راغب في حطامهم ، أو مقلد يتبع كل ناعق

وقد عرف الخليفة (المأمون) بمحبته للعلم والعلماء ، وشغفه في الحكمة والحكماء ، بل لم ير في اولاد الملوك من تعشق العلوم الحكيمية على حداته سنة ، واقام بين العلماء لمناظرتهم في جميع انواع العلوم مثله ، فادخل عليه مرة الاوائل في مجلس من العلماء والادباء . وقد ورث ذلك عن ابيه (الرشيد) فقد كان العلماء والادباء لا يفارقونه في حضر ولا في سفر ، حتى أنه ليطلب شاعره في أطراف الليل فيجده يبابه مع غيره من محدث أو نديم . وانما قرب العلماء الى الرشيد ما بنفسه من الميل الى الأدب ، والحرص على احراز العلوم ، حتى كانوا اذا اجتمعوا بداره سما الى مناظرتهم من حيث العلم والتواضع له ، لا من حيث السيادة عليهم ، وهو بموضعه الجليل من الخلافة . وكان من الفضل بحيث ان ما أدبه لم تخل قط من عالم أو أديب أو شاعر . وبلغ به التواضع لهم ان معاوية المحدث الضرير كان اذا جلس الى طعامه قام الرشيد من موضعه وصب الماء على يده تعظيماً لتقدير العلماء ، فقال له معاوية : يا أمير المؤمنين ان تواضعك في شرفك لأشرف من شرفك ، وكانت همة الرشيد مصروفة الى ترجمة كتب الفلاسفة من يونان وغيرهم بعد ان رأى جعفرأ وزيره يتتاع من صحفهم ما يأمر التراجمة بتعريبه ، ثم يعطيهم زنة الكتاب المعرب ذهباً ، لان سوق العلم كانت نافقة عند البرامكة ، وهم الذين استنهضوا هم العلماء الى تعريب صحف الاعاجم ، فنافسهم الرشيد في ذلك ، وفي نفسه من الميل الى الأدب ، والتشوق الى

الاطلاع على كنوز الحكمة ما عرف ، فاتخذ رسله في احراز الاسفار القديمة ، وامر بتعريبها^(١) واخباره في العلم ومحاضرات العلماء كثيرة ولما افضت الخلافة الى ابنه (المأمون) اقتدى بآبيه أو اربى عليه ، فطارت شهرته في العلم والفلسفة ، الى أن حظي بقربه أحمد بن ابي دؤاد^(٢) وكان ابتداء اتصاله به انه قال : كنت احضر مجلس القاضي يحيى بن اكرم مع الفقهاء ، فاني عنده يوما إذ جاءه رسول المأمون ، فقال له : يقول لك أمير المؤمنين انتقل الينا جميع من معك من اصحابك ، فلم يجب أن احضر معه ، ولم يستطع ان يؤخرني ، فحضرت مع القوم ، وتكلمنا بحضرة المأمون فأقبل المأمون ينظر اليّ اذا شرعت في الكلام ، ويتفهم ما أقول ويستحسنه ، ثم قال لي : من تكون ، فاتسبت له ، فقال : ما أخرك عنا فكرهت ان احيل على يحيى فقلت : حبسة القدر وبلوغ الكتاب اجله ، فقال لا اعلمن ما كان لنا من مجلس الاحضرتة فقلت : نعم يا أمير المؤمنين

وقيل : قدم يحيى بن اكرم قاضيا على البصرة من خراسان من قبل المأمون آخر سنة (٢٠٢) وهو حدث سنة نيف وعشرون سنة ، فاستصحب جماعة من اهل العلم والمرؤات ، منهم ابن ابي دؤاد ، فلما قدم المأمون بغداد في سنة (٢٠٤) قال ليحيى : اختر لي من اصحابك جماعة يجالسوني ويكثرون الدخول الي ، فاختر منهم عشرين فيهم ابن ابي دؤاد ثم قال : اختر منهم ، فاختر خمسة فيهم ابن ابي دؤاد وانصل امره ، واسند المأمون وصيته عند الموت الى اخيه (المعتصم) وقال فيها : « وابو عبد الله

(١) عن كتاب حضارة الاسلام

(٢) بضم الدال وفتح الهزرة الممدودة بعده ، على فؤاد

ابن أبي دؤاد لا يفارقك، أشركه في المشورة في كل امرك ، فإنه موضع ذلك »
ولما ولي (العتصم) الخلافة ، جعل أحمد بن أبي دؤاد قاضي القضاة ،
وعزل يحيى بن اكثم وخص به أحمد ، حتى كان لا يفعل فعلا باطنا ولا
ظاهراً الا برأيه

وكان أبو العيناء يقول (١) : ما رأيت رئيساً قط أفصح ولا أنطق من
ابن أبي دؤاد ، وكان اخذ عن واصل بن عطاء مسائل الكلام حتى تضلع
من الكلام ، واصبح داعية اليه ، فلما اتصل بالمأمون دس له القول بخلق
القرآن ، وحسنه عنده ، وصيره يعتقد حقا مينا ، الى أن أجمع رأي
المأمون في سنة (٢١٨) على الدعاء اليه ، فكتب الى نائبه على بغداد اسحق
ابن ابراهيم الخزاعي ابن عم طاهر بن الحسين في امتحان العلماء كتابا
يقول فيه :

« وقد عرف أمير المؤمنين ان الجمهور الاعظم ، والسواد الاكبر ،
« من حشو الرعية ، وسفلة العامة ، ممن لا نظره ولا روية ، ولا استضاء
« بنور العلم وبرهانه ، أهل جهالة بالله ، وعمى عنه ، وضلالة عن حقيقة
« دينه ، وقصور ان يقدروا الله حق قدره ، ويعرفوه كنه معرفته ، ويفرقوا
« بينه وبين خلقه ، وبين ما انزل من القرآن ، فاطبقوا على انه قديم لم
« يخلقه الله ويخترعه ، وقد قال تعالى « انا جعلناه قرآنا عربيا » فكل ما
« جعله فقد خلقه (٢) كما قال : « وجعل الظلمات والنور » وقال « نقص »

(١) عن تاريخ ابن خلكان

(٢) التفريع بالكيفية انما يصح في مادة جعل بمعنى خلق كآية « وجعل لكم
السمع والابصار - وجعل الظلمات والنور » لا في جعل بمعنى صير ، ففرق بين المعنيين =

« عليك من أنباء ما قد سبق » فاخبر انه قصص لامرور احداثه بعدها،
 « وقال » احكمت آياته ثم فصت » والله محكم آياته ومفصله ، فهو خالقه
 « ومبتدعه ، ثم اتسبوا الى السنة ، وانهم أهل الحق والجماعة ، وان من
 « سواهم أهل الباطل والكفر ، فاستطالوا بذلك وانروا به الجهال ، حتى
 « مال قوم من أهل السميت الكاذب ، والتخشع لغير الله ، الى موافقتهم ،
 « فزوعوا الحق الى باطلهم ، واتخذوا من دون الله وليجة الى ضلالهم »

الى أن قال

« فرأى أمير المؤمنين ان اوائك شر الامة ، المنقوصون من التوحيد
 حظا ، أوعية الجهالة ، واعلام الكذب ، ولسان ابليس الناطق في
 أوليائه ، والهائل على اعدائه ، من أهل دين الله . واحق ان يتهم في
 صدقه ، وتطرح شهادته ولا يوثق به ، من عمي عن رشده وحظه من
 الايمان بالتوحيد ، وكان عما سوى ذلك أعمى وأضل سبيلا ، ولعمر أمير
 المؤمنين أن أ كذب الناس من كذب على الله ووحيه ، وتخرص
 الباطل ، ولم يعرف الله حق معرفته ، فاجمع من بحضرتك من القضاة ،
 فاقرأ عليهم كتابنا ، وامتنحهم فيما يقولون ، واكشفهم عما يعتقدون في

= الخلق والتصير ، فكما ورد في التنزيل جعل بمعنى خلق ، فقد ورد بمعنى صير ،
 ومنه آية « انا جعلناه قرآنا عربيا » اي صيره قرآنا عربيا وأنزله بلغة العرب ولسانها ،
 ولم يصيره أعجميا فينزه بلغة المعجم ومنه آيات « يادود انا جعلناك خليفة في الأرض -
 وجعلوه من المرسلين - جعله ذكرا - ربنا واجعلنا مسلمين لك - رب اجعل هذا البلد آمنا »
 وامثالها مما جعل فيه بمعنى التصير البتة . وليس كتابنا هذا للمناقشة والتمحيص ،
 فلا نطيل بذلك

خلق الله واحداً ، وأعلمهم اني غير مستعين في عمل ولا واثق بمن لا يوثق بدينه ، فاذا اقرؤا بذلك ووافقوا فرحم بنص من بحضرتهم من اليهود ، ومسألهم عن علمهم في القرآن ، وترك شهادة من لم يقر أنه مخلوق ، واكتب لنا بما يأتيك عن قضاة أهل عمالك في مسألهم والامر لهم بمثل ذلك »

هذه صورة كتاب المأمون في المحنة ، وقد ذيله باشخاص كبار فقهاء بغداد وأئمة الاثر والرواية ، وتم الامر بالمحنة التي طار شررها واطال ضررها ، واشتهر من بين رجالها (الامام احمد بن حنبل) رحمه الله ورضي عنه ، ولها في التاريخ ذيل طويل ، وممن استوفى اطرافها التاج السبكي في طبقاته ، فايرجم اليها المستزيد

ثم موضع الغرابة من كتاب المأمون ، هو حمل الناس على غير ما يعتقدون ، واكراههم على امر لم تمض به سنة ، ولم يجدوا فيه برهاناً من أنفسهم ، مع أن الاكراه على أصل الأصول ، وما به العصمة والنجاة ، — وهو الدين الخالص — قد اباه الشرع ونهى عنه في غير ما موضع من التنزيل الكريم ، كآية « لا اكراه في الدين » وآية « أفأنت تُكفره الناس حتى يكونوا مؤمنين » وآية (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) ولكن سكرة الدولة ، وانقلاب الرأي عقيدة بالتسليم والتقليد ، وعظم الطول والقدرة ، كل ذلك يحول دون الانصاف والاعتدال غالباً وقد يظن ان ما اذاقه المأمون من الاضطهاد لرجال محنته ، كان باعته ما اشار اليه في رسالته من نيز من اضطهدهم لجماعته بالكفر والضلال ، واشاعتهم ذلك بين العامة ، اذ قال في رسالته المتقدمة اعذاراً لمن

يلم به الملام « ثم اتسبوا الى السنة ، وانهم أهل الحق والجماعة ، وأن من سواهم أهل الباطل والكفر ، فاستطالوا بذلك وانغروا به الجهال » وجلي انه لا يطبق الصبر على هذا فئة رأسهم في هذا المعتقد الخليفة فقضاه ووزراؤه نعم قد يمكن ان يكون ذلك من بواعثه ، وقد يكون انتقاما من اضطهاد سابق ، ومقابلة له بالمثل في جزاء الاعتداء بنظيره ، اذ كان للأثرية دولة في عهد الامويين وصدرآ من الخلافة العباسية ، وكانت اقوالهم في تكفير مخالفينهم من الجهمية ، ورميهم بالزندقة ، وهدر دمهم ، تعري بهم ، وتُحفظ الامراء عليهم ، وتستفز ذوي البطش منهم على الايقاع بهم ، كما يدري ذلك من سبر أقوالهم في الجهمية ، ولم يكن قتل الجعد بن درهم وغيلان دمشقي ، بل ومثل محمد بن سبيد الشامي المصلوب^(١) الا من جراء مقالاتهم فيهم ، والتاريخ ابو العجب

وقد كان بدء المحنة بالقول بمخلق القرآن سنة (٢١٨) الى ان افضت الخلافة الى المتوكل . فأمر سنة (٢٣٤) بترك النظر والمباحثة والجدال وترك ما عليه الناس في ايام المعتصم والواثق من القول بمخلق القرآن ، وامر الناس بالتسليم والتقليد ، وامر الشيوخ المحدثين باظهار السنة والجماعة . ولكل زمان دولة ورجال .

قال نابغة البلغاء ابو بكر الخوارزمي في احدي رسائله : ليس من فرق الاسلام فرقة ، الا وقد هبت لاهلها رويحة ، ودالت لها دولة ، كما (١) أهموه بالزندقة ، وانغروا به ابا جعفر المنصور فصلبه ، مع ان غاية ما رمي به انه كان يضع الحديث ، ومع ذلك فقد روى عنه الثوري ومروان الفراري وابو معاوية والحاربي وآخرون ، وقد غيروا اسمه على وجوه سترآ له . انظر بسط ترجمته في ميزان الاعتدال للذهبي

اتفق المختار بن عبيد الله للكيسانية ، ويزيد بن الوليد للغيلانية ، وابراهيم
ابن عبيد الله للزيدية ، والمأمون لسائر الشيعة ، والمعتمد والواثق للمعتزلة ،
والموكل للنواصب والحشوية إهـ

• •

(٦) اول من صنف من المعتزلة في محاجة الاثرية

قال السفاريني في شرح عقيدته : معظم خلافيات علم الكلام مع
الفرق الاسلامية خصوصا المعتزلة ، لانهم اول فرقة اسسوا قواعد الخلاف ،
لما ورد به ظاهر السنة ، وجرى عليه جماعة الصحابة رضي الله عنهم . فأول
من صنف في علم الكلام والجدال والخصام مع أهل السنة والجماعة ابو
حذيفة واصل بن عطاء ، وهو رئيس المعتزلة واول من سمي معتزليا ، وله
من التصانيف كتاب المنزلة بين المنزلتين وكتاب الخطب في العدل والتوحيد ،
وكتاب السبيل الى معرفة الحق ، وكتاب معاني القرآن ، وكتاب ماجرى
بينه وبين عمرو بن عبيد ، وكتاب التوبة ، وله غير ذلك ، وكانت ولادته
سنة (٨٠) وتوفي سنة (١٣١)

قال ابن خلكان : كان واصل احد الائمة البلغاء المتكلمين وكان في ايام

عبد الملك وهشام بن عبد الملك ، — كما حكاه الشهرستاني

ومثله في السبق الى التصنيف في ذلك عمرو بن عبيد — من كبار ائمة

المعتزلة له كلام كثير في العدل والتوحيد على اعتقاد المعتزلة توفي سنة (١٤٣)

قال الذهبي في الميزان : كان المنصور — الخليفة الشهير — يخضع

لزهد عمرو وعبادته ويقول : كلسم يطلب صيد * غير عمرو بن عبيد

• •

(٧) تليق المعتزلة بالقدرية وسبب التسمية بذلك

قال الشهرستاني: المعتزلة يسمون اصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية: وذلك لاسنادهم افعال العباد لقدرهم وانكارهم القدر فيها موافقة لرأي معبد الجهنني، وغيلان دمشقي القدرين

وقال ابو منصور البغدادي في كتاب (الفرق) في تعداد المسائل التي اتفق عليها القدرية المعتزلة: ومنها قولهم جميعا بان الله تعالى غير خالق لأكساب الناس، وان الناس هم الذين يقدرون اكسابهم، وانه ليس لله تعالى في اكسابهم صنع ولا تقدير، ولا جل هذا سماهم أهل السنة قدرية اه وقال ابن الاثير: سموا قدرية لانهم اثبتوا للعبد قدرة توجد الفعل بانقرادها واستقلالها دون الله تعالى، وتقوا ان تكون الاشياء بقدر الله وتضائه. وقد قالوا لمخالفيهم انتم الأولى بتسمية القدرية، لانكم تجعلون الاشياء جارية بقدر من الله، ومثبت الشيء احق بالنسبة اليه من نافية، فاجابهم المثبتون بان مثبت الشيء لنفسه أولى بالنسبة اليه ممن نفاه عن نفسه اه وقال الامام ابن تيمية: في آخر عصر الصحابة حدثت القدرية، واصل بدعتهم كانت من عجز عقولهم عن الايمان بقدر الله، و الايمان بامر الله ونهيه، ووعده ووعيده، وظنوا ان ذلك ممتنع، وكانوا قد آمنوا بدين الله وامره ونهيه، ووعده ووعيده، وظنوا انه اذا كان كذلك لم يكن قد علم قبل الأمر من يطيع ومن يعصي، لانهم ظنوا ان من علم ماسيكون، لم يحسن منه ان يأمر وهو يعلم ان المأمور يعصيه ولا يطيعه، وظنوا أيضاً انه اذا علم انهم يفسدون لم يحسن ان يخفق من يعلم انه يفسد، فلما بلغ قولهم بانكار القدر السابق للصحابة انكروا انكاراً عظيماً وتبرؤا منهم، حتى قال

عبد الله بن عمر : اخبر اولئك اني بريئ منهم وانهم مني براء ، والذي
 يملف به عبد الله بن عمر ، لو ان لأحدهم مثل احد ذهباً فاتقاه ما قبله الله
 منه حتى يؤمن بالقدر . وذكر عن ابيه حديث جبريل ، وهذا اول حديث في
 صحيح مسلم ، وقد اخرج به البخاري ومسلم من طريق ابي هريرة أيضاً مختصراً
 ثم كثر الخوض في القدر ، وكان اكثر الخوض فيه بالبصرة والشام
 وبعضه في المدينة . فصار مقتصدوم وجهورهم يقرون بالقدر السابق
 وبالكتاب المتقدم ، وصار نزاع الناس في الارادة وخلق أفعال العباد ،
 فصاروا في ذلك حزيين ، النفاة يقولون : لا ارادة الا بمعنى المشيئة ، وهو
 لم يرد الا ما امر به ، ولم يخلق شيئاً من افعال العباد . وقابلهم الخائضون
 في القدر من المجبرة مثل الجهم بن صفوان وامثاله ، فقالوا : ليست الارادة
 الا بمعنى المشيئة ، والامر والنهي لا يستلزم ارادة ، وقالوا : العبد لا فعل له
 البتة ولا قدرة ، بل الله هو الفاعل القادر فقط . وكان جهم مع ذلك
 ينفي الاسماء والصفات ! هـ

* *

(٨) أول من تكلم في القدر

اشهر ان أول من احدث القول بالقدر (معبد الجهنني) قال الذهبي
 في الميزان : هو تابعي صدوق لكنه سن سنة سيئة ، فكان اول من تكلم
 في القدر . قتله الحجاج صبراً لخروجه مع ابن الاشعث اه وكان اولاً
 يجلس الى الحسن البصري ثم سلك أهل البصرة بعده مسلكة لماروا
 عمرو بن عبيد ينتحلها

وروي ان من أول تكلم في القدر (غيلان بن ابي غيلان الدمشقي)

ويقال انه اخذ عن معبد، ولا منافاة فالاولية نسبية، بمعنى ان كلا منهما سبق وتقدم على كل من خاض في القدر بعدها

وغيلان هذا كان مولى عثمان بن عفان، وكانت داره بدمشق في ربض باب القرايس شرقي دمشق. وحكي ابن عساكر ان عمر بن عبد العزيز كان لام غيلان على رأيه، فكف عن ذلك حتى مات عمر، فلما مات سال غيلان في القدر سيل الماء، وكان يفتي الناس لما حج مع هشام سنة (١٠٦). قال الاوزاعي: قدم علينا غيلان القدري في خلافة هشام ابن عبد الملك، فنكلم غيلان وكان رجلا منوها، ثم اكثر الناس الوقعة فيه والسعاية بسبب رأيه في القدر، واحتفظوا هشام بن عبد الملك عليه، فأمر بقطع يديه ورجليه وقتله وصلبه

* *

(٩) رجال الجهمية والمعتزلة (القدرية) ممن روى لهما الشيخان

البخاري ومسلم في صحيحهما

من المقرر في الاصول ان ائمة الرواية والاثار لم يتجافوا الرواية عن المبدئين، فقد حملوا عن الشيعة والمرجئة والقدرية والخوارج وغيرهم. ومع تصلب الشيخين في الرواية وتحريرهما، لم يريا مانعا من الرواية عن اعلام من رمي ببدعة، انتجاعا للعلم واستقاء للحكمة من مناهلها. وقد سهر الحافظ ابن حجر في مقدمة الفتح اسماء من بذلك ممن خرج البخاري. وسرد الحافظ السيوطي في (تدريب الراوي شرح تقريب النواوي) منهم من خرج له الشيخان او احدهما. واما من رمي بذلك ممن روى لهم غير الشيخين فقد تكففت به كتب الرجال. ومن اشهرها الآن (نقد الرجال) للحافظ الذهبي

ولما كان بحثنا في الجهمية والمعتزلة رأيت مما يتممه ايراد من سُمي
من رجالهما في الصحيحين ليعلم بذلك تسامح المحدثين في الاخذ بمن رمي
ببدعة — اذا كان ثقة صدوقا — وفي تلقي السنة منه طرحا للتعصب ،
واعترافا بقدر ذوي الفضل

(١) (بشر بن السري) قال السيوطي : رمي برأي جهم — وهو تقي
صفات الله تعالى والقول بخناق القرآن — وقال الذهبي : حديثه في الكتب
الستة ، روى عنه الامام أحمد ، وقال كان متقنا للحديث عجبا . وقد زعم
الذهبي انه رجع عن التجهم ، لكن يبطله تعصب الحميدي عليه ، وقوله :
جهمي لا يحل ان يكتب عنه ، فمع كونه جهميا روى عنه الائمة المشاهير ،
ولم يحفلوا بقول الحميدي ولا غيره فيه

(٢) ثور بن زيد المدني (٣) ثور بن يزيد الحمصي (٤) حسان بن عطية
المحاربي (٥) الحسن بن ذكوان (٦) داود بن الحصين (٧) زكريا بن اسحق (٨)
سالم بن عجلان (٩) سلام بن عجلان (١٠) سلام بن مسكين (١١) سيف بن
سليمان المسكي (١٢) شبيل بن عباد (١٣) شريك بن ابي نمر (١٤) صالح بن
كيسان (١٥) عبد الله بن عمرو (١٦) عبد الله بن ابي ليبيد (١٧) عبد الله بن
ابي نجيح (١٨) عبد الاعلى بن عبد الاعلى (١٩) عبد الرحمن بن اسحق المدني
(٢٠) عبد الوارث بن سعيد الثوري (٢١) عطاء بن ابي ميمونة (٢٢) العلاء
ابن الحارث (٢٣) عمرو بن ابي زائدة (٢٤) عمران بن مسلم القصير (٢٥)
عمير بن هاني* (٢٦) عوف الاعرابي (٢٧) كهمس بن المنهال (٢٨) محمد
ابن سواء البصري (٢٩) هرون بن موسى الاعور النحوي (٣٠) هشام

الدستوائي (٣١) وهب بن منبه (٣٢) يحيى بن حمزة الحضرمي
قال السيوطي : هؤلاء رموا بالقدر ، وكلهم ممن روى له الشيخان
أو أحدهما إه وقال ابن تيمية : في هؤلاء — يعني القدرية — خلق كثير
من العلماء والعباد ، كتب عنهم وأخرج البخاري ومسلم لجامعة منهم .
وقال الإمام أحمد : لو تركنا الرواية عن القدرية لتركنا أكثر أهل البصرة ،
قال ابن تيمية : وهذا لأن مسألة خلق أفعال العباد وإرادة الكائنات
مسألة مشككة إه

* *

(١٠) بيان أن الجهمية والمعتزلة لهم ما للمجتهدين

كما أن اسم الاجتهاد يتناول في عرفهم فروع الفقه ، فكذلك مسائل
الكلام لعموم مفهومه لغة واصطلاحاً ووجوداً ، فإن الفرق التي تنوع
اجتهادها في مسائل الكلام ، ربما تربو على مجتهدى الفروع ، وكيف
لا تكون من المجتهدين وهي تستدل وتحكم ، وتبرهن وتقضي ، وتجادل
خصومها بما أخذها ، وترى أن ما تستدل عليه هو الحق الذي لا يقعد على
سواه ، ولا يدان الحق تعالى بغيره ؟

وجلياً أن ما يبعث على بذل الجهد في الفروع ، هو نظير ما يبعث عليه
في الأصول أو أعظم ، فإن مسألة الرؤية وخلق الأعمال وخلق القرآن
وإرادة الكائنات ، لما تشابهت الآيات والأخبار فيها ، ذهب كل فريق
إلى ما رآه أرفق لكلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام ، وألقى
بعضة الله سبحانه وثبات دينه ، فكانوا لذلك مجتهدين ، وفي اجتهادهم
مأجورين ، وإن كانوا في القرب من الحق متفاوتين

نعم لا يمكن ان يقال في مسائل الاصول ان كل مجتهد فيها مصيب ، وان الحق فيها متعدد ، كما قاله الاكثرون في غيرها من مسائل الفروع المجتهد فيها ، وذلك لان مسائل الاصول امور ذاتية لا تختلف بالاضافة ، ولا تختمل اجتهادين يمكن ان يكون الامر على هذا أو ذلك ، بل لا بد من كونه على احدهما البتة ، والامور الذاتية لا تتبع الاعتقاد ، بل الاعتقاد يتبعها ، فلذلك كان المصيب فيها واحدا ، والحق منها واحداً ، والمخطئ معذوراً غير آثم ، لأنه بذل وسعه ، واستنفد طاقته ، وما يراه غيره نصاً يراه هو غير نص ، فالحقيقة عند احدهما مجاز عند الآخر ، وبالعكس .

وقد ذهب الغزالي الى ان الآثم غير محطوط عن المخالفين في مسائل الاصول . وحجته اتفاق سلف الأمة على ذم المبتدعة ومهاجرتهم ، وقطع الصحبة معهم ، وتشديد الانكار عليهم ، مع ترك التشديد على المختلفين في مسائل الفرائض وفروع الفقه : هذا ما احتج به الغزالي . وعجيب من مثله ان يعد هذا دليلاً على تأييمهم ؛ واي مناسبة بين الدعوى والهليل ؟ على ان دعوى الاتفاق على ذم المبتدعة ومهاجرتهم مردودة بتلقي ائمة الحديث عن كثير منهم ، وحمل السنن النبوية عنهم ، وجعلهم في الاكثار حجة بينهم وبين ربهم ، وقد سبق لنا عدة ممن روى لهم الشيخان من الجهمية والمعتزلة والقدرية . وبقي ممن روي لهم من الاباضية والمرجئة والشيعية عدد عديد كما تراه في مقدمة فصح الباري للحافظ ابن حجر والتدريب شرح التقريب للسيوطي وميزان الاعتدال للذهبي . وقد منا ما قاله الامام أحمد رحمه الله ورضي عنه : لو تركنا الرواية عن القدرية لتركنا أكثر أهل البصرة : (قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله) وفي

هوؤلاء خلق كثير من العلماء والعباد كتب عنهم واخرج البخاري ومسلم
لجماعة منهم (ثم قال) لكن من كان داعية لم يخرجوا له ولهذا لم يخرج
اصحاب الصحيح لمن كان داعية إله

وقد اشتهر هذا (اعني أن من كان داعية الى بدعته لم يخرجوا له)
مع ان العراقي اعترض ذلك بان الشيخين احتجا بالدعاة، فاحتج البخاري
بعمران بن حطان الخارجي، واحتجا بعبد الحميد بن عبد الرحمن الجفاني،
وكان داعية الى الارزاء، فاني يستقيم مع ذلك دعوى هجران السلف
لهم، وقطع الصحبة معهم، وهم قد حملوا عنهم من السنة ما لم يوجد عند
غيرهم، واصبح مرويتهم حجة دامنة أبد الآباد؟ . نعم كان بعض السلف
سلك بمض متقدمي الجهمية والقدرية بالسنة حداد، ورومهم بما هم برآء
منه، وكان ذلك ايام ضعفهم وقتلهم، اما وقد انتشر مذهبهم بعد، ودالت
الدولة لهم، ودخل فيه قوم من العلماء والعباد، فلم يسع من عاصرهم من ائمة
الحديث الا التحمل عنهم وانصافهم، كما رأيت في عبارة الامام احمد المتقدمة
فنيين مما ذكرناه ان ماعول عليه الغزالي في المستصفي لا يصح دليلا
ولا شبهة مع ما عرفت من تخريج الشيخين عنهم، بله غيرهما، ممن نزل
شرطه في تخريجه عن شرطهما، كاصحاب السنن والمسائيد والمعاجم، فان
هذه الكتب ملأى بالمبدعين من الفرق كلها، كما يعرفه من سبر طبقات
الرجال، ورأى رموز من خرج لهم من الرواة المشاهير

وبالجمله فكون هذه الفرق مجتهدة لها ماله مجتهدين، امر لا يرتاب
فيه منصف، والمجتهد معذور بل مأجور وان اخطأ، واذا انتهى الانتم
عن المجتهد فاني يصح نزهه بالالقب السوءى والحفيظة عليه؟ وهل فرق

الائمة وجعلها شيئا واذهب ربحها الا هذا التناز والازراء المعيب ، مع ما يجمع الكل من اخوة الاسلام ؟ اوسعهم
ولقد انصف العلامة المقبلي في قوله في بحث الكلام مع المعتزلة من كتابه العلم الشاخر ما مثاله : اني لست بمعتزلي ولا اشعري ، ولا ارضى بغير الاتساب الى الاسلام ، وصاحب الشريعة عليه الصلاة والسلام ، واعدّ الجميع اخوانا ، واحسبهم على الحق اعوانا . انتهى

ومن طالع كتاب (حجج القرآن) للامام احمد الرازي الحنفي رحمه الله ، ورأى تمسك كل فرقة من فرق الاسلام بآيات واخبار ذهب بها اجتهادها الى انها نصوص أو ظواهر فيما تذهب اليه ، عذرهما ورحمهما ، وعلم انها لم تحل جزافا ، وانما وزنت الامر بمعيار ما ادنى اليه النظر ، وتوخت الحق جهدهما . نعم ليس كل من يتوخى الحق يصيبه ، إلا انه ليس على باذل جهده ملام ، والسلام

وقد حكى السبكي في طبقاته عن ابيه انه وقف لبعض المعتزلة على كتاب سماه (طبقات المعتزلة) افتتح بذكر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ظنا منه انه منهم وعلى عقيدتهم (قال السبكي) وهذا نهاية في التعصب ، فانما ينسب الى المرء من مشى على منواله إله وجليّ ان الذي اوصاهم الى عد الصحابة منهم ، هو الشغف بمذهبهم ، والاعتقاد بأنه الحق والصواب . ولا غرو فان الوّليع بمذهب يحاول ان يرد الكتاب والسنة وخيار الناس اليه ، بيد ان من هؤلاء مجتهدين ، ومنهم مقلدون ، وبينهما بون عظيم ، فان المجتهدين يؤثرون مذهبهم لما يرشدهم ادليل اليه ، فهم يستدلون ثم يعتمدون ، واما المقلدون فهم يؤثرون مذهبهم حبا او عصبية ، فيعتمدون

ثم يستدلون لما يعتقدون، فان رأوا خلافا عرضوا عنه: «فما أضيع البرهان عند المقلد»

قال الامام أحمد بن المختار الرازي في مقدمة كتابه (حجج القرآن) لما استخرج منه حجج كل طائفة ما مثاله: وما من فرقة الا ولها حجة من الكتاب، وما من طائفة الا وفيها علماء، نحارير فضلاء، لهم في عقائدهم مصنفات، وفي قواعدهم مؤلفات، وكل منهم يؤول دليل صاحبه على حسب عقيدته ووفق مذهبه، وما منهم من أحد الا ويعتقد انه هو المحق السعيد، وان مخالفه لقي ضلال بعيد «كل حزب بما لديهم فرحون» (قال) وليس قصدنا بيان مقولات المتكلمين، من المتأخرين والمتقدمين، ولكن القصد ان نذكر جميع حجج القرآن بطريق الاستيعاب، ثم نذكر حجج الحديث، لكل قوم من القديم والحديث، لكيلا يعجل طاعن بطعنه في فرقة، ولا يغلو قاذح بقدره في طائفة اه

وكتابه هذا بديع جدا، رتبه على ثلاثين بابا، في كل باب فصول حجة، وقال رحمه الله في خاتمة ما صورته: هذا آخر ما اوردنا من حجج القرآن، لجميع اهل الملل والاديان، وهي (بمجموعها حجة) على اصحاب الظواهر الذين يأبون التأويل، وينسبون مخالفيهم الى التعطيل (وحجة ايضا) على المتعصيين الذين يقابلون مخالفيهم بالتكفير والتضليل، والتخطئة والتجهيل، (وحجة ايضا) على من ينكر النظر في كتب الاصول، أو يقول فيها بالمنقول دون المعقول (وحجة ايضا) على من يكفر أهل القبلة، أو يعير طائفة باقلمة، أو يخرجهم ببدعة عن الملة (وحجة ايضا) على من يجزم على مجتهد واحد بالاصابة، أو يجعل في تضليل فرقة وعصابة (وحجة ايضا) على العلماء

القاصرين أيضا في العربية ، الغالين في الجدل والعصية إه

• •

(١١) شبهة الاثرية في اضطهاد الجهمية ، والجهمية في اضطهاد الاثرية

لما دالت لكل منهم الدولة ، وفيه اعتذار بقلم الجاحظ

قدّمنا ان شيوخ الرواية ، وأعلام الاثر ، كانوا يفرون الامراء
بمخالفتهم ، لما يذيعونه من تكفيرهم وزندقتههم ، وتم لهم الامر في مثل
غيلان والجعد ومحمد بن سعيد المصلوب وامثالهم ، — كما حكيناها قبل .
قال الامام ابن تيمية في بعض فتاويه : ان السلف الذين كفروا الجهمية ،
قالوا يستتابون فان تابوا والاقتلوا (قال ابن تيمية) لكن من كان مؤمنا
بالله ورسوله مطلقا ، ولم يبلغه من العلم ما يبين له الصواب ، فانه لا يحكم
بكفره ، حتى تقوم عليه الحجة التي من خالفها كفر ، اذ كثير من الناس
يخطئ فيما يتأوله من القرآن ، ويجهل كثيرا مما يرد من معاني الكتاب
والسنة ، والخطأ والنسيان مرفوع عن هذه الأمة ، والكفر لا يكون
الابعد البيان (قال) والائمة الذين امروا بقتل مثل هؤلاء الذين ينكرون
رؤية الله في الآخرة ، ويقولون القرآن مخلوق ونحو ذلك ، قيل انهم
امروا بقتلهم لكفرهم ، وقيل لانهم اذا دعوا الناس الى بدعتهم اضلوا
الناس ، فقتلوا لاجل الفساد في الارض ، وحفظا لدين الناس ان يضلواهم إه
هذا ما حكاها الامام ابن تيمية في شبهة من امر بقتلهم ، وقد حكى
الشبهتين بصيغة التمريض ، ليشير الى ان ما زعموه دليلا ليس بدليل
ولا شبهة ، فان سفك دم المعصوم انما يكون بامر قاطع ، قد نص عليه
نصا لا احتمال فيه ولا اشتباه اذ مثله يكون من المحكمات الواضحات ،

والاحكام الجليسات ، لا تتجاذبه الآراء ، وتترادفه الاقوال ، لانه
لا اعظم بعد الشرك من سفك دم المعصوم ، وكل من اتى بالشهادتين
فقد عصم دمه الابحقة المنصوص عليه ، والاحاديث في ذلك كثيرة
شهيره لاحاجة الي ايرادها ، وكلها متفقة على ان كل من اظهر الاسلام
فقد عصم دمه وماله ، وإن كان يخفي جحوداً أو تعطيلاً كالمنافقين ، لان
لنا الظاهر ، والله يتولى السرائر

اذا كان هذا الحكم في العصمة يعم المنافقين ، فكيف لا يتناول من
لا يشك في ايمانه ، ويبدل وسعه لحفظ العقيدة ، فاني يستحل دمه لمجرد
انه تأول بابا من ابواب العلم ، خالف فيه رأي غيره ، مع انه لم يجحد من
الدين شيئاً ؟

ومن هذا كل ما ذكروه في قتل الزنديق ، فانه لاحجة فيه قاطعة ،
ولا بينة ناصعة ، كما اوضحته في تعليقاتي على (الروضة الندية) للسيد صديق
حسن خان ، والمدقق يرى انه لا يمكن ان يؤتى في مسألة قتل الزنديق
ببرهان من كتاب الله ولا من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم لامن نص
محكم ولا من ظاهر ولا من آحاد ولا صحيح ولا حسن ، لان الزنديق
ان اظهر الاسلام ، اسر الإلحاد فحكه كالمنافق ، وبالاجماع هو معصوم
الدم . وان جهر بالكفر فلا يحكم عليه بالردة الا بعد ان تزاح كل علة ،
ولا يبقى لمرتاب شبهة ، وهناك تجري عليه احكام المرتدين

وقد تقرر اجماعاً ان الحدود تدرأ بالشبهات ، فمن عكس القضية ان
تجلب الحدود بالشبهات ، والبحث يدريه حق الدراية من تطالب لكل
فرع دليله من الكتاب او السنة ، ولم يعول الا عليهما

وبالجملة فدعوى كفر مثل هذه الفرق مردودة بما ذكرنا . وقد نقل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ، في كتابه (موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول) ان الكفر يكون بتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به ، او الامتناع عن متابعتة ، كما سنأثره عنه بعد مفصلا في بحث « حظر الائمة المحققين ، من رمي فرق المسلمين بالتكفير » فسقط دعوى هدر دمهم بالتكفير

واما دعوى استحلال دمهم بانهم من السعاة في الفساد في الارض ، فردودة بان الآية لا تعم مثلهم قط وان جربنا على ان العبرة بعموم اللفظ ، لأن العموم في الآية انما هو فيما شابه الحالة التي نزلت فيها أعني فيمن كان محاربا لله ، رسوله محادا لهما ، متظاهرا بالكفر بالدين ، ساعيا بافساد السابلة بالقتل والنهب واخلال الأمن ، فالعموم هو في كل من انصف بذلك ، في أي زمان ومكان ، فمن أين يشمل عموم الآية من كان مؤمنا قاتنا محافظا على شعائر دينه ، متاولا في ابواب من العلم ما اتسع له اللغة ، ولا يأباه اللسان ، وهو لم يرذ من لفظ الآية لا منظوقا ولا مفهوما ، ولم تنزل في مثله . وفي الحقيقة هذا جلي لا يحتاج الى ان ينبه على مثله ، لان هذه الفرق المتأولة مؤمنة موحدة مطيعة لله ورسوله ، ليست محاربة لله ورسوله ، ولا محادة لهما ، ولا ساعية في الارض بالفساد قتلا ونهبا ، فمن الحال ان يدعى شمول الآية لها ، وهل يم المؤمنون ما نزل في الكافرين ؟ والقائل بذلك من السلف مخطئ في اجتهاده ، أو أنه لم يبذل الوسع فيه ، ولذلك خالف فيه الائمة المحققون واجمعوا على عدم تكفيرهم كما سيأتي مأثورا

وكان الذي سبب لهم ما سبب من الاضطهاد ، هو ضعفهم في اول الامر وقتلهم ، ولذلك لما كثروا وقوي حزبهم ، وتمذهب لهم في عهدهم من كل ورع وتقي ، من هو قدوة وعدل رضي ، لم ير مخالفوهم بدأ من تحمل الحديث والعلم عنهم ، حرصا على الحكمة ان تضيع بموت اهلها ، كما قدمنا عن الامام احمد ، في اعتذاره عن الرواية عن القدرية ، مع انهم فرقة من الجهمية - هذا ما كان من امر الاثرية ، في اضطهاد الجهمية - واما الجهمية (المعتزلة) فقد اعتذروا عن اضطهاد خصومهم - الاثرية - لما دالت لهم الدولة ، بما قدمناه من نص كتاب المأمون في المحنة المشهورة ، وبما اوضح بعضه ايضا خطيبهم (الجاحظ) فقد قال^(١) : « وبعد فنحن لم نكفر الا من اوسعناه حجة ، ولم نمتحن الا اهل التهمة ، وليس كشف المتهم من التجسس ، ولا امتحان الظنين من هتك الاستار ، ولو كان كل كشف هتكا ، وكل امتحان تجسسا ، لكان القاضي اهتك الناس لستر ، واشد الناس كشفا لعورة ، (قال) والذين خالفوا في العرش انما ارادوا تقي التشبيه فغلطوا ، والذين انكروا أمر الميزان انما كرهوا ان تكون الاعمال اجساما واجراما غلاظا ، فان كانوا قد اصابوا فلا سبيل عليهم ، وان كانوا قد اخطأوا فان خطأهم لا يتجاوز بهم الى الكفر ، وقولهم وخلافهم بعد ظهور الحجة تشبيهه للخالق بالخلوق ، فين المذهبين ابين الفرق ، وقد قال صاحبكم^(٢) للخليفة المعتصم - يوم جمع الفقهاء والمتكلمين والقضاة والمخلصين ، إعدارا وانذارا -- : امتحتني وانت

(١) قلا عما طبع له في حاشية الكامل للمبرد ج ٢ ص (١٣١) فما بعدها

(٢) يعني الامام أحمد رحمه الله يخاطب به الاثرية

تعرف ما في المحنة ، وما فيها من الفتنسة ، ثم امتحنتني من بين جميع هذه الأمة . قال المعتصم : وجدت الخليفة قبلي قد حبسك وقيدك ولولم يكن قد حبسك على تهمة ، لأمضى الحكم فيك ، ولولم يخفك على الاسلام ما عرض لك ، فسؤالي اياك عن نفسك ليس من المحنة ، ولا من طريق الاعتساف ، ولا من طريق كشف العورة ، اذا كانت حالك هذه الحال ، وسبيلك هذه السبيل .

(ثم قال الجاحظ) وكان آخر ما حجب^(١) فيه ان احمد ابن ابي دؤاد قال له : أليس لا شيء الاقديم او حديث ؟ قال : نعم ، قال او ليس القرآن شيئاً ؟ قال نعم ، قال : أو ليس لاقديم الا الله قال : نعم ، قال : فالقرآن اذا حديث . قال ليس انا متكلم (ثم قال الجاحظ) وزعم^(٢) يومئذ ان حكم كلام الله تعالى كحكم علمه ، فكما لا يجوز أن يكون علمه محدثاً ومخلوقاً ، فكذلك لا يجوز ان يكون كلامه مخلوقاً ومحدثاً . فقال له ابن ابي دؤاد : اليس قد كان الله يقدر ان يبدل آية مكان آية ، وينسخ آية بآية ، وان يذهب بهذا القرآن ويأتي بغيره ، وكل ذلك في الكتاب مسطور ؟ قال نعم . قال : فهل كان يجوز هذا في العلم ؟ وهل كان جائزاً ان يبدل الله علمه ويذهب به ويأتي بغيره ؟ قال : لا ، وقال له روينا في تثبيت ما نقول الآثار ، وتلونا عليك الآية من الكتاب ، واريناك الشاهد من العقول التي بها لزم الناس الفرائض ، وبها يفصلون بين الحق والباطل ، فعارضنا انت الآن بواحدة من الثلاث ، فلم يكن ذلك عنده .

(١) يعني الامام احمد رحمه الله

(٢) يعني الامام احمد ايضاً

(ثم قال الجاحظ) وعبتم علينا اِكْفارنا اياكم، واحتجاجنا عليكم بالقرآن والحديث، وقلم تكفرونا على انكار شيء يحتمل التأويل، ويثبت بالاحاديث؟ فقد ينبغي لكم ان لا تحتجوا في شيء من القدر والتوحيد بشيء من القرآن والحديث، وان لا تكفروا احدا خالفكم في شيء، وانتم اسرع الناس الى اِكْفارنا، والى عداوتنا والنصب لنا. كلام الجاحظ فانظر الى حججهم وحجاجهم، واعتذار الخليفة وقتئذ بالخوف على الاسلام من خصومهم، تعلم انه بلغ عقدهم بمذهبهم مبلغا لا غاية وراءه من التيقن والتصاب، مع ان كل ما ذكروه لا يحل اضطهادهم لمخالفهم، اذ الرأي انما يدفع بالحجة والبرهان، لا بقوة السطة والسلطان.

واعجب ما جاء في كلام الجاحظ قوله « وعبتم علينا اِكْفارنا اياكم - الى قوله - : وانتم اسرع الناس الى اِكْفارنا » اذ يدل ان الشدة والعداء والحدة أصارت الفريقين الى استحلال ايقاع كل بالآخر ما يستطيعه من ضروب الايذاء بالقول والفعل، حتى صار يخيل للمرء ان ذات هذه المذاهب من شأنها ان تملأ قلوب ذويها بغضا ونفارا من مخالفيها، وانها منبت للإحن، ومصدر للمحن والفتن. ولقد اثر هذا النبذ في اتباع الفريقين تأثيرا لم تحمد عقباه، اذ لامتجوه من انفس كل منهم كرور الايام، ولا مرور الاعوام، مادام يقرأ في زبر كل فريق خلاف عقد الآخر، والتشيع عليه، ولم ينبج من هذه الحفائظ والشحناء الامن نقض غبار التقايد، وأوى من الاجتهاد الى ركن شديد.

ولقد يعجب المرء من (احمد بن ابي دؤاد) وله من وفرة العقل، وكبر الفهم والنبيل، ما اصاره من افراد الرجال، كما يدريه من قرأ اخباره في مثل تاريخ

ابن خلكان ، ومع ذلك يغري الملوك بمن خالف مذهبه ، يسعى لديهم بما يعجل نكالهم ، وقد أثر عنه من ذلك ما شوه وجه حياته ، وكسف شمس فضائه ، فقد بلغ به التعصب لمذهبه ما أصاره يؤدي من أهل مذهبه من يخالف بعض مسائل منه . ومن ذلك ما حكاه ابو الفرج الاصفهاني في كتاب الأغاني في اخبار سعيد ابن حميد البغدادي الكاتب الشاعر المشهور ان اياه كان وجها من وجوه المعتزلة فخالف احمد بن ابي دؤاد في بعض مذهبسه ، فاغري به المتعصب ، وقال إنه شعوبي " زنديق ، فحبسه مدة طويلة ، ثم بانت براءته له او للوائق بعده ، فغلى سبيله ، وكان شاعرا ايضا ، فكان يهجو احمد بن ابي دؤاد بقوله :

لقد اصبحت تنسب في اباد • بأن يكنى ابوك ابا دؤاد
فلو كان اسمه عمرو بن معدي • دعيت الى زيد أو مراد
لئن افسدت بالتخويف عيشي • لما اصلحت عيشك في اباد
وانتك قد اصبحت طريف مال • فبخلك باليسير من التلاد
هذا ما قصه الاصفهاني ، وبه يظهر مبلغ تعصب ابن ابي دؤاد في مذهبه ، حتى صار يستحل لاجله الوشاية والسعاية بالارباب والانتقاء ،

(١) في الاساس : تالان شعوبي ومن الشعوبية ، وهم الذين يصغرون شأن العرب ، ولا يرون لهم فضلا على غيرهم : والشين مضمومة . وفي التاج : قال ابن منظور : وقد غابت الشعوب بلفظ الجمع على جيل المعجم حتى قيل لختقر امر العرب شعوبي اضافوا الى الجمع لغلبته على الحليل الواحد كقولهم انصاري اه وللإمام ابن قتيبة كتاب في الرد على الشعوبية سماه (كتاب العرب) ظفرت بكراريس من أوله مخطوطة ، وقد نشرناها في مجلة المقتبس في الجزء (١١) من المجلد (٤)

ولقد آذى بذلك نفسه فاصبح ممقوتا منسي الفضائل على كثرتها فيه ، حتى
قال عنه الذهبي في الميزان : جهمي بغيض
وحكي السبكي في ترجمة محمد بن الحسن البعث من كبار قضاة
الشافعية : أن الصحاح بن عباد عرض عليه مرة القضاء ، على شرط اتحل
مذهبه — يعني الاعتزال — فامتنع وقال : لا ابيع الدين بالدنيا : فتمثل
له الصحاح بقول القائل :

فلا تجعاني للقضاة فريسة * فان قضاة العالمين لصوص
مجالسهم فينا مجالس شرطة * وايديهم دون الشموص شصوص^(١)
فأجابه البعث بديهة بقوله :

سوى عصبة منهم تخص بعفة * ولله في حكم العموم خصوص
خصوصهم زان البلاد وانما * يزين خواتيم الملوك فصوص
وهذا ايضا مما يستنكر من مثل الصحاح ، وهو ما هو . ولقد قال
عنه الثعالبي في اليتيمة : ليست تحضرنى عبارة ارضاها للافصاح عن علو
محلّه في العلم والادب ، وجلالة شأنه في الجود والكرم ، وتفردّه بغايات
الحاسن ، وجمعه اشقات المفاخر ، الخ . ومع هذا فهو يحول دون ذوي
الكفاءة في القضاء الا بتقليدهم مذهبه ، ولكن لا عجب مادامت مسائل
المذاهب صارت عند مقلديها عقائد ، والمعتقد لا يرفع لسوى عقيدته رأسا ،
ولا يقيم لغيرها وزنا ، ولا يعير لمخالفه اذنا ، وبالله التوفيق

وقد اشار لضروب اضطرادهم ، وما آلت اليه عاقبة امرهم ، الامام تقي

(٢) جمع شص (بالسكر) حديدة عفاء بصاد بها السمك (ويفتح) والشص

لاص الحاذق اه قاموس

الدين ابن تيمية رحمه الله ، في خلال فتوى له بقوله : وقد اشتهر الامام احمد بمحنة هؤلاء الجهمية فانهم اظهروا القول بانكار صفات الله تعالى وحقائق اسمائه ، وان القرآن مخلوق ، حتى صار حقيقة قولهم تعطيل الخالق سبحانه وتعالى ، ودعوا الناس الى ذلك ، وعاقبوا من لم يجيبهم اما بالقتل واما بقطع الرزق ، واما بالعزل عن الولاية ، واما بالحبس والضرب ، وكفروا من خالفهم ، فثبت الله تعالى الامام احمد حتى اظهر الله به باطلهم ، ونصر اهل الايمان والسنة عليهم ، واذلهم بعد العز ، واخلمهم بعد الشهرة ، واشتهر عند خواص الامة وعوامها : ان القرآن كلام الله ، غير مخلوق ، واطلاق القول ان من قال انه مخلوق فقد كفر به وما كان اغنى الفئتين عن الغلو والفتون ، فانا لله وانا اليه راجعون

(١٢) ما نتج من تعصب الجهمية والاثرية وبيان آفة الغلو في التعصب
(قال الامام الغزالي) في احياء علوم الدين : واما الكلام — اي
علم الكلام — فمقصوده حماية المعتقدات التي نقلها اهل السنة من السلف
الصالح لا غير

(ثم قال) ويحتاج اليه لمناظرة مبتدع ، ومعارضة بدعته بما يفسدها
وينزعها عن قلب العامي ، وذلك لا ينفع الامع العوام ، قبل اشتداد تعصبهم .
واما المبتدع بعد ان يعلم من الجدل ولو شيئاً يسيراً ، فقل ما ينفع معه الكلام ،
فانك ان اخطته لم يترك مذهبه ، واحال بالقصور على نفسه ، وقدر ان
عند غيره جواباً ما ، وهو عاجز عنه ، وانما انت ملبس عليه بقوة المجادلة .
واما العامي اذا صرف عن الحق بنوع جدل يمكن ان يرد اليه بمثله قبل ان

يشد التعصب للاهواء ، فاذا اشتد تعصبهم وقع اليأس منهم ، اذ التعصب سبب يرسخ العقائد في النفوس ، وهو من آفات علماء السوء ، فانهم يبالغون في التعصب للحق ، وينظرون الى المخالفين بيمين الازراء والاستحقار ، لتنبعث منهم الدعوى بالمكافأة والمقابلة والماملة ، وتتوفر ذواعيهم على طلب نصره الباطل ، ويقوى غرضهم في التمسك بما نسبوا اليه ، ولو جاؤا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوقة لافي معرض التعصب والتحقير ، لانجحوا فيه ، ولكن لما كان الجاه لايقوم الا بالاستتباع ، ولا يستميل الاتباع مثل التعصب واللعن والشم للخصوم ، اتخذوا التعصب عاداتهم وآلتهم ، وسموه ذبا عن الدين ، ونضالا عن المسلمين ، وفيه على التحقيق هلاك الخلق ، ورسوخ البدعة في النفوس اه

(وقال الغزالي) رحمه الله ايضا - في الجدل المذموم ومضراته : وله ضرر آخر في تاكيد اعتقاد المبتدعة للبدعة ، وتثبيتها في صدورهم ، بحيث تنبعت ذواعيهم ، ويشد حرصهم على الاصرار عليه (قال) ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذي يثور من الجدل ، ولذلك ترى المبتدع العاني يمكن ان يزول اعتقاده باللطف في اسرع زمان ، الا اذا كان نشوءه في بلد يظهر فيها الجدل والتعصب ، فانه لو اجتمع عليه الاولون والآخرون لم يتقدروا على نزع البدعة من صدره ، بل الهوى والتعصب وبعض خصوم المجادلين وفرقة المخالفين يستولي على قلبه ، ويمنعه من ادراك الحق ، حتى لو قيل له : هل تريد ان يكشف الله تعالى لك الغطاء ، ويعرفك بالعيان ان الحق مع خصمك ؟ لكره ذلك خيفة ان يفرح به خصمه (قال) وهذا هو الداء العظيم الذي استطار في البلاد والعباد ،

وهو نوع فساد اثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره اه

وقال العلامة المقبل في العلم الشاخص : واعلم ان الخلاف والتعصب والتحزب هو الذي حمل سيوف بعض المسلمين على بعض ، وحل دمائم واموالهم واعراضهم ، وحرف الكتاب والسنة ، ثم صيرهما كالعدم بسد باب الاجتهاد اه

(وقال ايضاً) ثم ترتب على الافتراق تقويم كل لعمود الشقاق ، وصار كل منهم انما يعتز بمن مال اليه من الملوك على خصمه اه
وبالجملة فمن اعظم آفات التعصب ما نشأ عنه من التفرق والتعادي ، بحيث صار يرثه المتأخر عن المتقدم ، حتى اصبح يبغض القريب قريبه اذا وجدته يخالف رأيه ، ويلصق به كل تهمة شنعاء ولو اقام على صحة رأيه مئين من البراهين ، بل بلغ احتقار بعضهم لبعض مبلغاً دفع به الى ان يحنق على مخالفه ، ويتحين الفرص للايقاع به ، حتى اذا بدرت منه هفوة ، أو ظهرت زلة — ولا معصوم الا من عصم الله — رفع مخالفه عقيرته بتأنيبه ، وملاً الأرض والسماء صراخاً بتشهيره ، غير مبالي بما حظره الشرع مما يولد البغضاء والشحناء ، ويفكك عرى الاخاء ، ولا ملام على الدهماء من ترويج مثل هذه الخطة الشائنة لفرقهم في بحار الجهل ، وانما يلام قادة الافكار على احتذائهم هذا الحدو ، ونسجهم على هذا المنوال ، اذ لولا صبغ هؤلاء الرهط ، وبشهم هذه الالقاب في النفوس ، لكانت الامة متماسكة الاجزاء ، متينة عرى المحبة بين الافراد .

نعم لا بأس ان تنتقد الاقوال ، وتضعف بالبرهان ، ويوضح كل

خطأ ينجم عنها ، ولكن الذي يجب التوقي منه هو ان يتشاحن قادة العقول ويتطاحنوا ويتبغضوا لما لا يصح ان يكون سببا معقولا ، وان يثب كل على مخالفه وثبة الغادر المتقم ، فيود ان ينكل به أو يمزقه شر ممزق ، فيقتني إثرهم مقلدهم ، فتصبح الامة اعداء متشاكسة ، واحزابا متنافرة ، بشؤم التعصب الدميم ، الذي لم يتمكن من امة الا وذهب بها مذهب التفرق والانحطاط ، واضعف قواها ، واحاق بها الخطوب والارزاء ، فمن الواجب العمل على ملاشاة الشحنة والشقاق ، والقيام بالتحاب والاتفاق ، وبالله التوفيق

(١٣) حظر الائمة للمحققين ، رمي فرق المسلمين بالكفر والفسق

من اعظم ما بليت به الفرق الاسلامية ، رمي بعضها بعضا بالفسق والكفر ، مع ان قصد كل الوصول الى الحق ، بما بذلوا جهدهم لتأييده واعتقاده ، والدعوة اليه ، فالمجتهد منهم وإن اخطأ مأجور (وقد نقل شيخ الاسلام ابن تيمية) في كتابه موافقة صريح العقول ، لصحيح المنقول^(١) عن الامام الرازي (في نهاية العقول) في مسألة التكفير مامثاله :
« قال الشيخ ابو الحسن الاشعري في اول كتاب (مقالات الاسلاميين) :
اختلف المسلمون بعد نبينهم في اشياء ضلل فيها بعضهم بعضا وتبرأ بعضهم من بعض فصاروا فرقا متباينين ، الا ان الاسلام يجمعهم فيجمعهم . فهذا مذهبه ، وعليه اكثر الاصحاب ، ومن الاصحاب من كفر المخالفين
« واما الفقهاء ، فقد نقل عن الشافعي رضي الله عنه قال : لا أورد

{١} جزء ١ صفحة ٤٩ وما بعدها من الطبعة الاميرية على حاشية منهاج السنة

شهادة اهل الاهواء الا الخطائية ،^(١) فانهم يعتقدون حل الكذب . واما ابو حنيفة رضي الله عنه ، فقد حكى الحاكم صاحب المختصر في كتاب المنتقى عن ابي حنيفة انه لم يكفر احدا من اهل القبلة . وحكى ابو بكر الرازي عن الكرخي وغيره مثل ذلك .

« واما المعتزلة ، فالذين كانوا قبل ابي الحسين تحامقوا وكفروا اصحابنا في اثبات الصفات وخلق الاعمال . واما المشبهة فقد كفرهم مخالفوهم من اصحابنا ومن المعتزلة ، وكان الاستاذ ابو اسحق يقول : اكفر من يكفرني ، وكل مخالف يكفرنا فنحن نكفروه والا فلا »

ثم قال الرازي : « والذي نختاره ان لانكفر احدا من اهل القبلة والدليل عليه ان نقول المسائل التي اختلف اهل القبلة فيها مثل ان الله تعالى هل هو موجود لافعال العباد أم لا ؟ وانه هل هو متحيز ، وهل هو في مكان وجهة ، وهل هو مرئي ام لا ؟ لا يخلو اما ان تتوقف صحة الدين على معرفة الحق فيها اولا تتوقف ، والاول باطل ، اذ لو كانت معرفة هذه الاصول من الدين ، **لكان الواجب على النبي صلى الله عليه وسلم ان يطالبهم بهذه المسائل ، ويبحث عن كيفية اعتقادهم فيها ، فلما لم يطالبهم بهذه المسائل ، بل ماجرى حديث من هذه المسائل في زمانه عليه السلام ، ولا في زمان الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ، علمنا انه**

(١) فرقة من غلاة الشيعة منسوبة الى ابي الخطاب محمد بن مقلص كان قبجه الله من الغلاة في جعفر الصادق عليه السلام ادعى له علم الغيب وغير ذلك حتى لعنه الصادق مرارا لفساد عقيدته وخبثه وكذبه عليه وقد تبرأ الصادق عليه السلام منه ، ومن اراد الوقوف على اخبار ابي الخطاب فليرجع الى كتاب رجال الشيعة للسكشي فقد اسهب في شأنه في عدة اوراق اه

لا يتوقف صحة الاسلام على معرفة هذه الاصول ، واذا كان كذلك لم يكن الخطأ في هذه المسائل قادحا في حقيقة الاسلام ، وذلك يقتضي الامتناع من تكفير اهل القبلة « اه

نم قال الامام ابن تيمية بعد ذلك : «والاصل في هذا الباب ان الالفاظ نوعان مذكور في كتاب الله وسنة رسوله وكلام اهل الاجماع ، فهذا يجب باعتبار معناه وتعليق الحكم به ، فان كان المذكور به مدحا استحق صاحبه المدح ، وان كان ذما استحق الذم ، وان اثبت شيئا وجب اثباته وان نفي شيئا وجب نفيه ، لأن كلام الله حق وكلام رسوله حق ، وكلام اهل الاجماع حق . ومن دخل في اسم مذموم في الشرع كان مذموما كاسم الكافر والمنافق والملحد ونحو ذلك ، ومن دخل في اسم محمود في الشرع كان محمودا كاسم المؤمن والتقي والصديق ونحو ذلك »

«واما الالفاظ التي ليس لها اصل في الشرع ، فتلك لا يجوز تعليق المدح والذم والاثبات والنفي على معناها ، الا ان يبين انه يوافق الشرع ، والالفاظ التي تعارض بها النصوص هي من هذا الضرب كلفظ الجسم والحيز والجهة والجوهر والعرض ، فمن كانت معارضته بمثل هذه الالفاظ لم يجز له ان يكفر مخالفة ان لم يكن قوله مما يبين الشرع انه كفر ، لأن الكفر حكم شرعي متلقى عن صاحب الشريعة ، والعقل قد يعلم به صواب القول وخطؤه ، وليس كل ما كان خطأ في العقل يكون كفرا في الشرع ، كما انه ليس كل ما كان صوابا في العقل يجب في الشرع معرفته . ومن العجب قول من يقول من اهل الكلام : ان اصول الدين التي يكفر مخالفتها

هي علم الكلام الذي يعرف بمجرد العقل ، واما ما لا يعرف بمجرد العقل فهي الشريعات عندهم ، وهذه هي طريقة المعتزلة والجهمية ومن سلك سبيلهم كاتباع صاحب الارشاد وأمثالهم فيقال لهم : هذا الكلام يتضمن شيئين : احدهما ان اصول الدين هي التي تعرف بالعقل المحض دون الشرع . والثاني ان المخالف لها كافر ، وكل من القدمتين وان كانت باطلة ، فالجمع بينهما متناقض ، وذلك ان ما لا يعرف الا بالعقل لا يعلم ان مخالفه كافر الكفر الشرعي ، فانه ليس في الشرع ان من خالف ما لا يعلم الا بالعقل يكفر ، وانما الكفر يكون بتكذيب الرسول فيما اخبر به ، او الامتناع عن متابعتة ، مع العلم بصدقه ، مثل كفر فرعون واليهود ونحوهم ، وفي الجملة فالكفر متعلق بما جاء به الرسول لا بمجرد ما يعلم بالعقل ، فكيف يجوز ان يكون الكفر بامور لا تعلم الا بالعقل ؟ الا ان يدل الشرع على ان تلك الامور التي لا تعلم الا بالعقل كفر ، فيكون حكم الشرع مقبولا ، لكن معلوم ان هذا لا يوجد في الشرع بل الموجود في الشرع تعليق الكفر بما يتعلق به الايمان ، وكلاهما متعلق بالكتاب والرسالة ، فلا ايمان مع تكذيب الرسول ومعاداته ، ولا كفر مع تصديقه وطاعته ومن تدبر هذا رأى اهل البدع من النفاة يعتمدون على مثل هذا فيتدعون بدعا بأرائهم ، وليس فيها كتاب ولا سنة ، ثم يكفرون من خالفهم فيما ابتدعوه ، وهذا حال من كفر الناس بما أثبتوه من الاسماء والصفات التي يسميها هو تركيبا وتجسيما واثباتا لحلول الصفات والاعراض به ونحو ذلك من الاقوال التي ابتدعها الجهمية والمعتزلة ثم كفروا من خالفهم فيها ، اه كلام الامام ابن تيمية رحمه الله

ولب هذا كله قوله « فلا ايمان مع تكذيب الرسول ومعاداته ،
ولا كفر مع تصديقه وطاعته » وما ذكره ونقله قبل هو الفیصل في
هذا الباب

وقال رحمه الله في شرح الاصفهانية : « خاصة اهل السنة المتبعين
لرسول صلى الله عليه وسلم هي انهم يتبعون الحق ويرحمون من خالفهم
باجتهاد ، حيث عذره الله ورسوله » اه وانما رحمة لانهم يجمعهم معه
اخوة الايمان ، وقد قال تعالى « رحماء بينهم » فالؤمنون مهما اختلف
اجتهادهم ، وتباينت مداركهم ، فهم اخوة يترحمون ، يتآلفون ولا يتباغضون ،
ولا يلزم من اختلاف الرأي اختلاف القلوب ، وبالله التوفيق

••

(١٤) يان انه لا تضليل ، لمن اصاره اجتهاده الى التأويل

قدمنا أولا انا لم نرد في هذه الورقات ذكر عقائد الجهمية والمعتزلة ،
ولا مناقشتهم ، لان لذلك مواضع معروفة ، لاسيما وهذا المقام طويل
الذيل ، متشعب المناحي ، ويكفي انه لأجله صنف ودون علم الكلام ،
وانما اردنا تعرف شأن هاتين الفرقتين من الوجهة التاريخية ، وقد اتينا
على جل منها

بقي التنبيه على النصفة مع مجتهدى فرق الاسلام ، ومجافاة التضليل
عن كل من التزم قانون التأويل ، فنقول : قد وقر في قلوب كثير من
الناس رمي أمثال المعتزلة بالمروق والضلال والزيف ، تقليدا لمن يبنزهم بذلك
من حشوية المتفهمين ، وهذا من اغرب الغريب ، اذ كيف يصح هذا
وكان القائمون بمذهب المعتزلة خلفاء الاسلام في العهد العباسي ، وقضاة

وعدة من علمائهم؟ وهم يحتجون لما يدعون، ويبرهنون على ما يذهبون،
لاجرم انهم - وان اخطأوا - لمجتهدون

ومما يدل على ان هذا العقد بلغ تمكن صحته من نفوسهم منتهاه من
اليقين حملهم الخلفاء على اكرام الناس عليه ابتغاء نجاحهم - بزعمهم -
بتصحيح عقيدتهم على ما يرون، وجلي ان كل من استعمل على ما يراه،
واحتج على دعواه، فقد آذن باجتهاده فيه، ونحري الحق فيما يقصده
وينفيه، فقصارى امره اذا نقض برهانه ودحضت حجته، ان يكون
مجتهداً مخطئاً، وهو معذور بل مأجور، اذ لم يرد الا الحق، فمن اين يسوغ
بعد ذلك قرص الاعراض بالتضليل والتفسيق، وتثوير المنبوز على
المقابلة بالمثل بل الامثال، والخروج بالاقذاع عن آداب المناظرة والجدال
ان نيز الفرق المتجادلة بتلك الألقاب اوجب ان تصرف الالباب عن
النظر في ادلة كل منها، لتزن المقبول منها بمعياره، والمردود بمقداره، لانها
حاولت الضغط على الافكار، وحرمانها من حرية البحث والتفكير والتأمل،
لتحملها على رأي واحد، ومذهب منفرد، وذلك ما كان ولن يكون
ان اختلاف الراء لا يدعو بطبيعته الى الحفاظ والاضغان، وغرس
الاحقاد والشقاق، ولكن اكثر الفوق استولت على مناظريها الضغائن،
فذهبت بهم مذهب التشفي والانتقام، هذه بالنز بالالاقاب السوءى،
وتلك بها او بساطتها الجائرة، واضطهادها لمخالفها بضروب العذاب
من عجيب امر التناز، ان الاغراق فيه قد يغري خلي الذهن
بالبحث عن المنبوز والتنقيب عنه، فيحمله على التأمل في مدركه، والتبصر
في ما أخذه، فربما انضم اليه وشايه تقليداً أو نظراً واستدلالاً

فلتعاملون على فئة قد يحبون فيها من حيث يريدون التفسير منها ،
ويجذبون اليها مما يأملون به الإبعاد عنها ، ويصدق فيهم قول القائل :
دع عنك لومي فإن اللوم اغراء

هؤلاء المتعاملون يرون اعظم منفر عن خصومهم هو التكفير ،
وفاتهم ان هذا لا يعني من البرهان ، ولا يجزي من الحق شيئا ، بل قد
يكون من اعظم امانى الخصوم ، فان الفكر الذي يحارب بهذا الاسم ربما
يكون قد بلغ اشده واستوى ، ووصل الى اعماق الرسوخ ورسا .
ولما حاول اعداء حجة الاسلام الغزالي عليه الرحمة والرضوان رميه
بالكفر ، (وما سهل رميهم به لامثاله) لمخالفته الاشعري اتدب لتأليف
كتاب يهدي الى حقيقة الكفر والزندقة ، سماه « فصل التفرقة » بين
الايان والزندقة » قال في خطبته : فهوّن ايها الاخ المشفق على نفسك ،
لا يضيق به صدرك ، وقل من غربك قليلا ، واصبر على ما يقولون
واهجرهم هجرا جميلا ، واستحقر من لا يحسد ولا يقذف ، واستصغر من
بالكفر والضلال لا يعرف (١)

ونقل الامام الغزالي ايضا في المستصفى ان عليا كرم الله وجهه
استأذنه قضاته في البصرة في القضاء بشهادة أهل البصرة من الخوارج
وغيرهم اوردها ، فامرهم بقبولها كما كان قبل الحرب ، لانهم حاربوا على
تأويل ، وفي ردّ شهادتهم تعصب وتجديد خلاف اه فانظر كيف تسامح
مع أهل التأويل المبدعين وقبل شهادتهم وزكاهم وعدلهم ، فهل يصح

(١) يشير رحمه الله الى ان ذلك صار وقفا على اخيار العلماء واعلام الجهادية
الحسكاه ، ولقد صدق رحمه الله وشاهده الاستقراء من لدن عصره وقبلة الى الآن

بعد هذا النبر بالتفسيق أو التضييل؟ حاشا وكلا! وهذا لمن عرف الرجال
بالحق، لا الحق بالرجال، والله المستعان

(١٥) ماوصى به الائمة من اطراح اقوال العلماء بعضهم في بعض، ومن

التماس الحكمة اينما وجدت

روى الامام حافظ المغرب يوسف بن عبد البر في كتابه (جامع
العلم وفضله) في باب حكم قول العلماء بعضهم في بعض عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال: استمعوا علم العلماء، ولا تصدقوا بعضهم على بعض.
وعنه رضي الله عنه قال: خذوا العلم حيث وجدتم، ولا تقبلوا قول الفقهاء
بعضهم على بعض.

وعن مالك بن دينار قال: يؤخذ بقول العلماء والقراء في كل شيء
الا قول بعضهم في بعض

وعن عبد العزيز بن ابي حازم قال سمعت ابي يقول: العلماء كانوا
فيما مضى من الزمان اذا لقي العالم من هو فوقه في العلم كان ذلك يوم
الغنيمة، واذا لقي من هو مثله ذا كره، واذا لقي من هو دونه لم يزه
عليه، حتى كان هذا الزمان، فصار الرجل يعيب من هو فوقه ابتغاء ان
ينقطع منه، حتى يرى الناس انه ليس به حاجة اليه، ولا يذاكر من هو
مثله، ويزهى على من هو دونه، فهلك الناس

(قال الامام ابن عبد البر): لقد تجاوز الناس الحد في الغيبة والذم
فلم يقنعوا بدم العامة دون الخاصة ولا بدم الجهال دون العلماء، وهذا كله

يحمل عليه الجهل والحسد . ثم قال رحمه الله : ومن صحت عدالته ،
وعُلمت بالعلم عنايته ، وسلم من الكبائر ولزم المروءة ، وكان خيره غالباً ،
وشره اقل عمله ، فهذا لا يقبل فيه قول قائل لا برهان له به ، فهذا هو
الحق الذي لا يصح غيره ان شاء الله .

(وقال الذهبي) في ميزان الاعتدال — في ترجمة ابي نعيم احمد
الاعلام : صدوق تكلم فيه ابن منده بلا حجة كما تكلم هو في ابن منده
(قال الذهبي) ولا اقبل قول كل منهما في الآخر ، بل هما عندي مقبولان .
ثم قال : وكلام الاقران بعضهم في بعض لا يعباً به ، ولا سيما اذا لاح لك
انه لعداوة أو لمذهب أو لحسد ما ينبجونه الا من عصم الله (قال) وما
علمت ان عصراً من الاعصار سلم اهله من ذلك سوى الانبياء
والصديقين ، فلو شئت لسردت من ذلك كرايس . اه

قال العلامة المقبلي : واشدها عداوة ما كان من قبل المذهب لانه يزعمه
ديناً ، ويمرن عليه فيغر نفسه انه دين ، وحظ الهوى في ذلك أوفى واوفر ،
نسأل الله العافية وان يجعلنا ممن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى .
وروى الامام ابن عبد البر في كتاب (جامع العلم) في باب الحال
التي ينال بها العلم ، عن علي كرم الله وجهه قال : العلم ضالة المؤمن تغذوه ولو
من ايدي المشركين ، ولا يأنف احدكم ان يأخذ الحكمة ممن سمعها منه . وعنه
كرم الله وجهه قال : الحكمة ضالة المؤمن يطلبها ولو في ايدي الشرط .
وروى ابن عبد البر قبل هذا الباب عن ايوب قال : انك لا تعرف
خطأ معلمك حتى تجالس غيره ، وعن علي رضي الله عنه قال : ان الناس
ابناء ما يحسنون وقدر كل امرء ما يحسن ، فتكلموا في العلم تتبين اقداركم .

(قال ابن عبد البر) : ان قول علي بن ابي طالب « قيمة كل امرئ ما يحسنه » لم يسبقه اليه احد (قال) وقالوا : ليس كلمة احض علي طلب العلم منها (وقالوا) ولا كلمة اضر بالعلم والعلماء والمتعلمين من قول القائل (ماترك الاول للآخر شيئا) قال ابن عبد البر : قول علي رضي الله عنه « قيمة كل امرء ما يحسن » من الكلام المعجب الخطير ، وقد طار له الناس كل مطير ، ونظمه جماعة من الشعراء اعجابا به ، وكلفنا بحسنه ، فمن ذلك ما يعزى الى الخليل بن احمد وهو قوله :

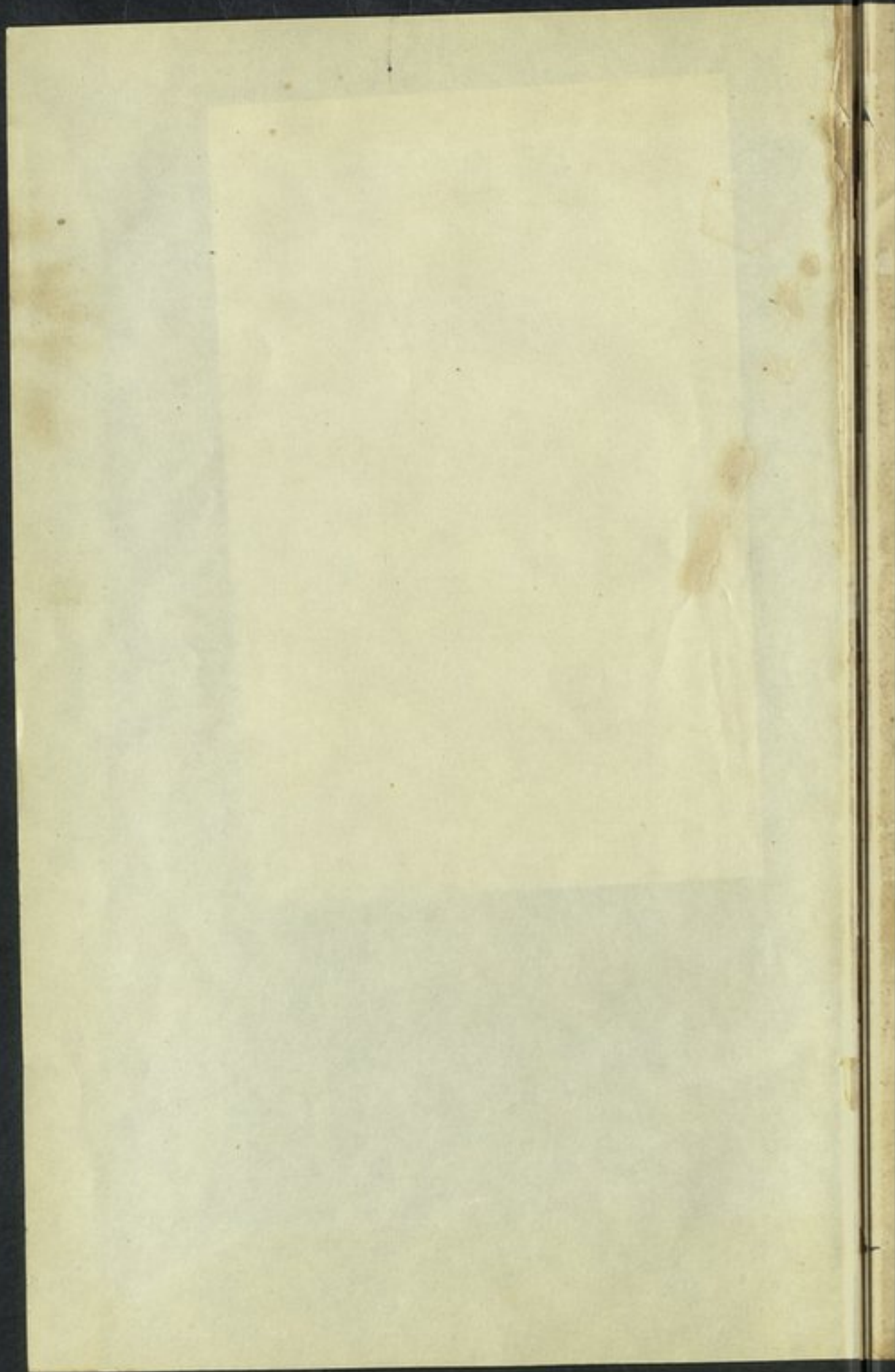
لا يكون السرّي مثل الدني * لا ولا ذو الذكاء مثل الغبي
لا يكون الألد ذو المقول المر (م) هف عند القياس مثل العبي
قيمة المرء كل ما يحسن المر (م) قضاء من الامام علي
وقال غيره :

يلوم علي أن رحى للعلم طالبا اجمع من عند الرواة فنونه
فيا لائي دعني اغالي بقيمتي فقيمة كل الناس ما يحسنونه
وقال ابو العباس الناشي :

تأمل بعينك هذا الانا م فكن بعض من صانه عقله
خاية كل فتى فضله وقيمة كل امرئ نبله
فلا تشكل في طلاب العلا علي نسب ثابت أصله
فما من فتى زانه قوله بشيء يخالفه فعله
ومما ينسب لعلي رضي عنه :

الناس من جهة التمثال أ كفاء ابوم آدم والأم حواء
وانما امهات الناس اوعية مستودعات وللحساب آباء





297.8:K194A:c.1
القاسمى، جمال الدين محمد بن محمد
تاريخ الجهمية والمعتزلة

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01010066

American University of Beirut



297.8

K194A

General Library

297.8
K19tA
C.1